عين المدينة

نبنيـها معاً

www.3ayn-almadina.com
facebook.com/3aynAlmadina

في المدينة...
- أحداث العام 2014 (1) ص 4-5
- دليل تنقيب الآثار في البوكمال ص 6
- أغاني داعش وجمهورها ص 8
- عينٌ على سرمدا... ص 13
- الاستثمار في تعليم اللاجئين ص 15
- دولة العراق في أرض الشام ص 16
- فلنتعلم كيف نختلف ص 18
- ملهب خيالات الشبّيحة المجنون ص 19

عين المدينة | العدد (39) | 16 كانون الأول 2014

مجلة نصف شهرية مستقلة

تجارب السلاح الكيماويّ على المعتقلين في سوريا

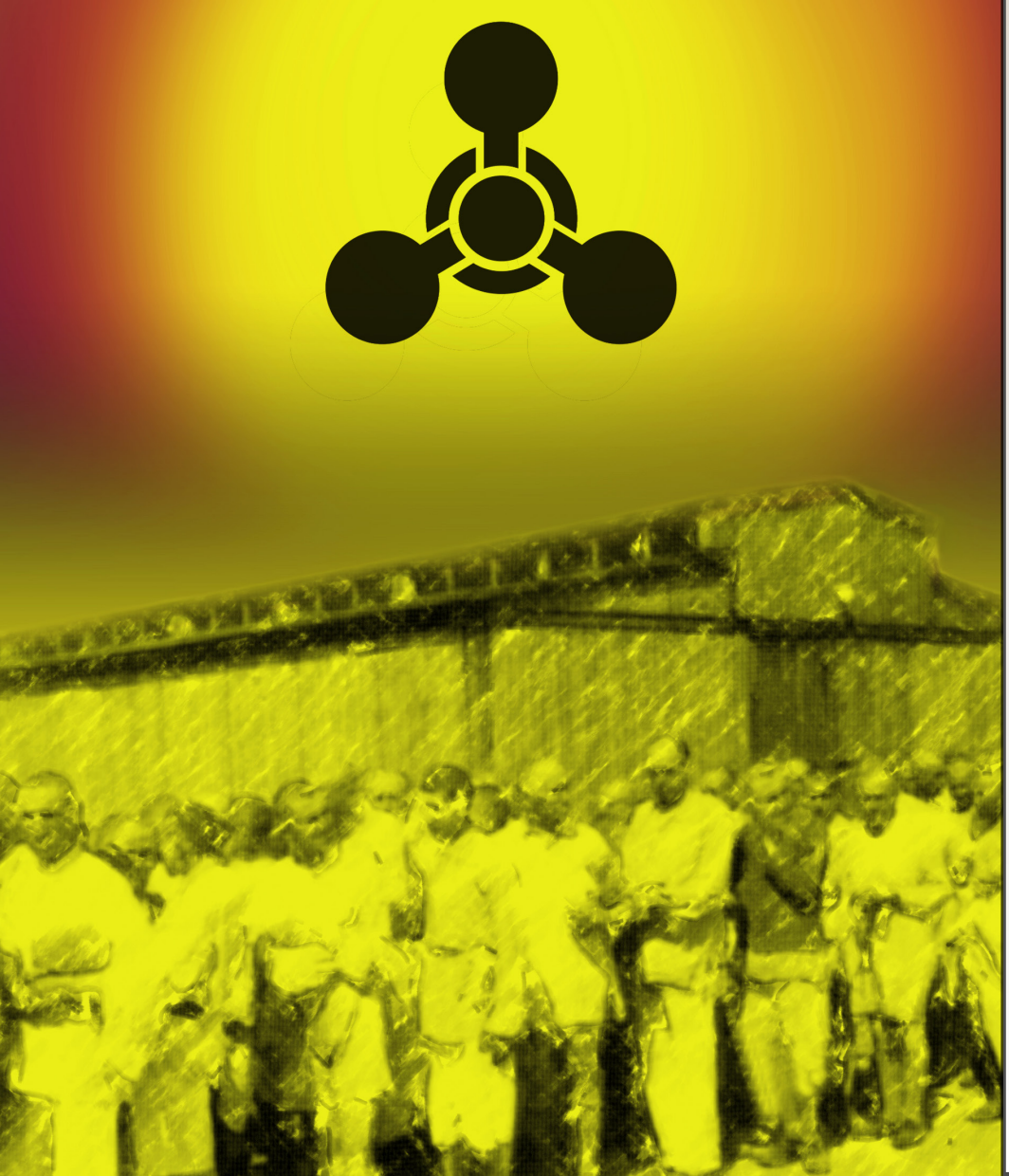

لماذا قامت الثورة؟

في هذا العدد، نعرض لشهادةٍ مريعةٍ على واحدةٍ من أغرب وأفظع جرائم نظام الأسد، وهي إجراء تجارب الغازات الكيماوية على السجناء السياسيين.

بمجرّد انفجار القنبلة، يصبح بشر التجارب كالأسماك عند خروجها من الماء... يرتمون على الأرض ويأتون بحركاتٍ ارتعاشيةٍ لاإراديةٍ شديدة... ويلاقون حتفهم بعد دقيقةٍ أو اثنتين؛ يقول الشاهد. بينما يرتسم شبح ابتسامةٍ على وجه علي مملوك، قائد هذا البرنامج الوحشيّ، ويضحك أحد ضباطه في المخابرات الجوّية بفرح هيستيريّ، ويدوّن خبراء مركز البحوث العلمية ملاحظاتهم بصرامةٍ وجدية. وبعد التجربة، تحمل جرّافةٌ الجثث إلى مقبرةٍ جماعيةٍ، لتختم هذا المشهد الذي يكاد يبدو مأخوذاً من فيلم خياليٍّ عن العقلية الإجرامية المريضة، لولا أن عليه شهوداً يحدّدون المواقع والأسماء والمسؤوليات بدقة، كما هو واضحٌ في داخل هذا العدد.

وحده هذا البرنامج يستوجب الثورة. فما بالك بكلّ ما سواه من الجرائم المشتهرة للنظام، التي يستعرضها توثيقٌ لمجريات عام 2014 الموشك على الانقضاء، وفيه أوّله كُشف عن 11000 صورةٍ لسجناء لاقوا حتفهم في سجون النظام، وتراوحت أيامه بين القصف الجوّيّ هنا والصاروخيّ هناك، والاعتقالات، والمجازر التقليدية والكيماوية، والخراب العميم.

ربما أدّى التعب وطول المدّة إلى سؤال الكثيرين لأنفسهم أو لمن حولهم: لماذا شاركت في الثورة؟ وهل ستعيد الكرّة لو رجع بك الزمن؟ ولكن واحدةً فقط من الملامح الإجرامية المجنونة لنظام الأسدين كافيةٌ لإعادة تعيين البوصلة وتجديد العزم على اجتثاث كلّ هذا الشرّ.

دي ميستورا في جولات "تجميد القتال"..

وإيران تضع قضية بقاء الأسد أو زواله جانباً

هيئة التحرير

لم تلقَ الخطّة التي وضعها مبعوث الأمم المتحدة دي ميستورا أية بادرة تطبيق، على الرغم من انشغال معظم الأطراف الدولية الفاعلة في الشأن السوريّ بنقاشها، وعلى الرغم من الجولات المكوكية التي يجريها المبعوث، والتي تشغل وسائل الإعلام العالمية حالياً. إلا أن دي ميستورا ما زال مصرّاً على إمكانية تجميد جبهات القتال في مناطق سورية، وخاصةً حلب التي قال عنها إنها "أيقونة العالم"، وإن سقوطها سيكون مأساةً كبرى. رافضاً كل ما يقال عن مبادرته من أنها ستفيد النظام السوريّ، ومصرّاً على أنها انطلاقةٌ نحو عمليةٍ سياسيةٍ جديدةٍ، وبوّابةٌ لدخول المساعدات إلى المحاصرين في مناطق الصراع.

وفي جولاته الأوروبية حصل دي ميستورا على موافقة الحكومة البريطانية وتشجيعها للخطة مبدئياً، بعد أن حصل، وفق قوله، على موافقاتٍ مبدئيةٍ أيضاً من قبل المعارضة السورية في تركيا ومن بعض الفصائل العسكرية المعارضة في حلب، وهو ما شجّعه على مناقشة مسؤولي الاتحاد الأوروبيّ في بروكسل بخصوص إمكانية عقد مؤتمر جنيف 3، الذي لم يحظَ بعد بموافقة النظام في دمشق.

ووفق مختلف المعطيات السياسية يمكن القول بأن الأسد يشترط أن تتضمّن الخطة ما يسمّيه "مشروعاً لمكافحة الإرهاب، واستعادةٍ لنفوذه على الأراضي السورية"، بينما تطلب المعارضة أن يتضمّن تجميد القتال وقف القصف من قبل النظام، وعدم تحريك قوّاته، وإطلاق سراح المعتقلين، وهو ما أخذه دي ميستورا في الاعتبار خلال تصريحه لمجموعةٍ من الصحفيين قبل توجهه إلى بروكسل، حين قال إن تجميد القتال في حلب سيتضمّن بنوداً تردع قوّات النظام عن تصعيد عملياتها في مناطق أخرى من سوريا، مفرّقاً بين وقف إطلاق النار وبين تجميد القتال الذي يجده مقدمةً لوقف الصراع بشكل مستدام.

إيران نحو موقفٍ جديد.. وجولاتٌ روسية

أبدت السلطات الإيرانية تبدّلاً نظرياً في موقفها من سوريا، وفق تسريباتٍ رسميةٍ فرنسية ادّعت أن إيران مستعدةٌ لمناقشة صيغةٍ جديدةٍ للحلّ في سوريا "يضع جانباً النقاش حول بقاء الأسد في السلطة أو رحيله عنها"، وهو ما اعتبرته فرنسا تبدّلاً إيجابياً في موقف طهران الذي كان يكرّر إصراره على بقاء الأسد في سدّة الحكم.

ومن جانبها توجّهت القيادة الروسية نحو عقد اجتماعاتٍ عدّةٍ في الشأن السوريّ؛ إذ اجتمع نائب وزير الخارجية الروسيّ ميخائيل بوغدانوف بقادةٍ من الائتلاف الوطنيّ السوريّ في إسطنبول، طالباً منهم توسيع مؤسسة المعارضة السورية لتضم ما هو أكبر من الائتلاف. ليتجّه بعد ذلك إلى دمشق ويلتقي الأسد، مؤكداً استمرار دعم القيادة الروسية للنظام السوريّ، ومشيراً إلى حرص روسيا على إعادة إحياء المفاوضات السياسية بقيادةٍ روسية.

التحالف الدوليّ واستمرار محاربة تنظيم الدولة الإسلامية

بالتزامن مع اللقاءات الدولية المتكاثرة والمبادرات الخاصّة بالوضع السوريّ، أكّدت الدول المشاركة في التحالف الدوليّ ضد "المتطرّفين في سوريا والعراق"، مواصلة القصف الجويّ على المناطق التي تضم مقاتلي تنظيم الدولة الإسلامية، وذلك في اجتماعها في مقرّ حلف الناتو ببروكسل، حيث توصل المجتمعون إلى نقاطٍ خمس تستمرّ من خلالها الغارات الجوّية، وتدعم قوّات الجيش العراقيّ للعمل على الأرض. وفي معرض الحديث عن الحملة العسكرية الدولية قال وزير الخارجية الأمريكيّ جون كيري إن هناك "حاجةً لدخول سوريا مرحلةً انتقالية. فنحن نعلم أن لا وجود لحلٍّ عسكريٍّ، ويجب التوصل إلى حلٍّ سياسيّ".

وأمام المواقف الأمريكية المنشغلة فقط بمحاربة تنظيم الدولة، دون الالتفات إلى ما يجري في شمال وجنوب وغرب البلاد، قالت صحيفة "وول ستريت جورنال" إن البيت الأبيض يبحث حالياً قضية "إنشاء منطقةٍ آمنةٍ على طول الحدود السورية"، والتي من شأنها، حسب الصحيفة، أن تكون منطقةً محظورةً على طائرات نظام الأسد، و"ستوفر الملاذ للاجئين ولقوى المعارضة المدعومة من الغرب". فيما يكثر الحديث عن اقتراحاتٍ عربيةٍ، خليجيةٍ ومصريةٍ وأردنية، تقوم على مبدأ رحيل شخص بشار الأسد دون إسقاط النظام.

كبرى معسكرات الشمال خارج يد النظام...
وسلاح الجوّ يجدّد حضوره في جبهاتٍ لم تهدأ

هيئة التحرير

في عمليةٍ سريعةٍ ومفاجئةٍ تقدّمت قوّات المعارضة في ريف إدلب لتسيطر على أكبر معسكرين كان يتخذهما الجيش الأسديّ كمركز هو الأقوى له في الشمال السوريّ، وهما وادي الضيف والحامدية بالقرب من مدينة معرّة النعمان. وقد استطاعت قوّاتٌ تابعةٌ لجبهة النصرة وحركة أحرار الشام وفصائل من الجيش السوريّ الحرّ السيطرة على المعسكرين بعد معارك سريعةٍ انتهت بانسحاب قوات النظام.

ومن الجانب الإستراتيجيّ، تعدّ هذه السيطرة الخسارة الأكبر من نوعها للنظام في الشمال، لأن المعسكرين يضمّان أكبر مستودعات السلاح وأكبر مخازن الوقود، التي كانت تعتبر أهمّ أسس استمرار معارك النظام في محافظتي حلب وإدلب.

ولم تفلح محاولات النظام استعادة المعسكرين بعد ساعاتٍ من خسارتهما، على الرغم من قيامه بعشرات الغارات الجوّية واستهداف المعسكرين بالبراميل المتفجرة. في حين أشار محللون عسكريون إلى أن فقدان النظام لسيطرته على وادي الضيف والحامدية سيؤدّي إلى سقوط مواقع النظام العسكرية في ريف إدلب بالتتالي في يد المعارضة، وسيخفف من حجم القصف اليوميّ المستمرّ منذ عامين على مدينة معرّة النعمان ومحيطها.

وأمام تقدّم قوّات المعارضة في إدلب استمرّت محاولات القوّات الأسدية التقدّم في حلب، سعياً منها لحصار الأجزاء المحرّرة من المدينة.

الجنوب في جبهةٍ واحدة

وأمام التقدّم في الشمال أعلنت فصائل الثوّار في الجنوب السوريّ، متمثلاً بدمشق وريفها ودرعا والقنيطرة، توحّدها ضمن جسمٍ عسكريٍّ يضمّ أكثر من 30 ألف مقاتل، بهدف الوصول -خلال مدّةٍ وجيزةٍ- إلى مجلس قيادة موحّدٍ وجيشٍ متكاملٍ قادرٍ على تنفيذ الخطط على الأرض والحفاظ على المكتسبات. وضمّ هذا التحالف معظم القوى المقاتلة في الجنوب باستثناء جبهة النصرة.

وأمام ذلك صعّدت قوّات النظام من هجماتها على مناطق محرّرةٍ من ريف درعا. إذ شهدت الأيام الماضية قصفاً عنيفاً بالبراميل المتفجرة استهدف بلدة الشيخ مسكين ومدينتي نوى وجاسم، ما أدّى إلى مقتل وجرح العشرات من سكان تلك البلدات، وحدوث دمارٍ كبيرٍ في الأبنية السكنية.

القلمون.. جبهاتٌ مستمرّة

على الرغم من سيطرة قوّات النظام السوريّ على معظم مدن وقرى القلمون بعد معارك كان الحضور الأقوى فيها لميليشيات حزب الله اللبنانيّ، إلا أن ما تشهده المنطقة خلال المدّة الأخيرة هو بمثابة تراجع لقوّات النظام. إذ تجري فصائل معارضةٌ متمركزةٌ في الجبال عمليات كرٍّ وفرٍّ كان لها أثرها الواضح مطلع الشهر الحالي خاصةً في منطقة رأس المعرة، حيث تمّ استهداف عدّة مواقع تابعةٍ للنظام السوريّ، وعدّة مواكب عسكريةٍ بعضها تابعٌ لحزب الله.

وفي مكانٍ أقرب إلى العاصمة شنّت قوّات النظام حملاتٍ جديدةً على محيط دمشق بعد فشلها في اقتحام جوبر. فقد شدّدت القصف على حرستا والقابون وجوبر، واستهدفت عدّة أماكن محيطةٍ بمداخل دمشق الجنوبية من جهة مخيم اليرموك. وترافق ذلك مع غاراتٍ جوّيةٍ متكرّرةٍ على دوما ومحيطها وأطراف بلدتي دير العصافير وزبدين في الغوطة الشرقية.

وبدا واضحاً اعتماد النظام مؤخراً على سلاح الجوّ بشكلٍ أساسيٍّ أمام ضعف وقلة كادر جيشه البشريّ، وأمام الخسائر المتتالية على الأرض.

مطار دير الزور العسكريّ

وفي شرق البلاد، كانت معارك دير الزور هي الحدث الأبرز خلال الأسبوعين الفائتين. إذ نفذ مقاتلو تنظيم "الدولة الإسلامية"، وكتائب الجيش الحرّ المتحالفة معها في قتال النظام، سلسلة هجماتٍ ناجحةٍ في كلٍّ من الجهتين الشمالية والشرقية لمطار المدينة العسكريّ، إضافةً إلى تنفيذهم عملياتٍ خاطفةً في بعض جبهات المدينة. واستطاع المهاجمون تحرير معظم قرية الجفرة الملاصقة للمطار من الجهة الشمالية، وتمكنوا من طرد قوات الأسد من جزيرة "حويجة صكر" النهرية. وسيطر المهاجمون كذلك على عدّة أبنيةٍ ونقاط تمركزٍ لقوّات الأسد خارج المطار من الجهة الشرقية، لتسقط بذلك خطوط دفاع هذه القوّات، التي عملت على تحصينها خلال العامين الفائتين.

مدافع فوزديكا مدمرة في معسكر الحامدية

حصاد العام 2014 (1)

أكثر من 30 ألف شهيدٍ، ونصف مليون لاجئ...
جمود الجبهات وتمدّد داعش يفتحان باب تدويل النزاع

شهد عام 2014 مجموعةً من الأحداث الهامّة في مسار ثورة الكرامة السورية، فيما برزت إلى السطح التعقيدات السياسية والعسكرية معاً. وشكل ظهور تنظيم داعش وتراجع تشكيلات الجيش الحرّ إحدى معالم فشل سياسة الائتلاف الوطنيّ ومن وراءه من دولٍ أكثرت الوعود والتخوّفات والتخبّط تجاه القضية السورية. فيما لم يصبّ أيٌّ من هذه التطوّرات في صالح النظام الأسديّ والميليشيات المقاتلة معه. فما زال النظام يراوح في مكانه باحثاً عن خرافات الحسم العسكريّ والانتصار الذي جاء موضعياً في بعض المناطق بفعل المجازر وحملات القصف الجنونيّ، بالإضافة إلى استخدام الأسلحة الكيماوية. فيما يستمرّ استنزافه في مناطق أخرى بمعارك الكرّ والفرّ.

في هذا العدد، وفي العدد القادم، سنستعرض أبرز أحداث العام بحسب الأشهر:

كانون الثاني

الائتلاف السوريّ يعيد انتخاب رئيسه أحمد الجربا لولايةٍ ثانيةٍ مدّتها ستة أشهر، تحضيراً لمؤتمر جنيف2 للسلام الذي سيُعقد خلال هذا الشهر.

حصار حمص القديمة ومخيم اليرموك في دمشق يستمرّان، مع تسجيل حالات وفاةٍ بسبب الجوع، وسط منع النظام إدخال المساعدات الغذائية والإنسانية إلى المناطق المحاصرة. واستشهاد 62 مقاتلاً من كتيبة شهداء البياضة، التي ينتمي إليها منشد الثورة السورية عبد الباسط الساروت، أثناء محاولتهم إدخال الطعام إلى حمص القديمة.

وكالة أناضول التركية تنشر صور 11 ألف شخص عُذّبوا بشاعةٍ حتى الموت في أقبية المخابرات السورية، سرّبها منشقٌ عن الشرطة العسكرية التابعة للنظام.

إعلان مجموعةٍ من التشكيلات العسكرية في الجيش الحرّ الحرب ضدّ تنظيم داعش في مناطق ريف حلب وإدلب، والتنظيم يتراجع تحت ضربات الكتائب. واكتشاف مقابر جماعيةٍ، يحوي بعضها جثثاً مكبلة الأيدي، تم إعدامهم على يد داعش، في المناطق التي انسحبت منها.

النظام يزيد من حملات قصفه وبراميله على المناطق المحرّرة في حلب ودرعا وحمص ليوقع مئات الضحايا أثناء انعقاد مؤتمر جنيف 2.

رفعت الاسد يقول إن النظام ليس مسؤولاً عن دمار سوريا. ووزير أوقاف النظام يشبّه بشار بالمعتصم خلال حفل عيد المولد النبويّ في دمشق.

شباط

إعلان الوسيط الأمميّ الأخضر الإبراهيميّ توقف جولة المحادثات في مؤتمر جنيف2 بين وفدي الائتلاف والنظام، دون تحديد موعدٍ لبدء جولةٍ جديدة، ودون نتائج تذكر.

صدور قرار مجلس الأمن رقم 2319 الذي يدعو جميع الأطراف إلى الكفّ عن الهجمات التي تشنها ضد المدنيين وعن الاستخدام العشوائيّ للأسلحة في المناطق المأهولة بالسكان، بما في ذلك القصف المدفعيّ والجويّ.

هروب الرئيس الأوكرانيّ الموالي لروسيا من قصره، بعد مظاهراتٍ شعبية، يفتح باب خلافٍ بين الولايات المتحدة وروسيا حول ملفٍ جديد.

ألوية صقور الشام التابعة للجبهة الإسلامية تعلن تبنيها تفجير فندق الكارلتون، مركز عمليات مليشيات الأسد في حلب القديمة. وسيطرة الحرّ على أكثر من 11 موقعاً في القنيطرة ودرعا. الشبكة السورية لحقوق الإنسان تحصي سقوط أكثر من 500 برميلٍ متفجّرٍ على أحياء حلب خلال مدّةٍ لا تتجاوز العشرين يوماً.

الإعلان عن هدنةٍ في مخيم اليرموك.

آذار

النظام يعدّ للانتخابات الرئاسية، ومجموعة أصدقاء سوريا تصفها بالمهزلة وبأنها "إهانةٌ للأرواح البريئة التي سقطت خلال النزاع".

الإبقاء على مقعد سوريا شاغراً في القمّة العربية في الكويت، بعد تهديد سبع دولٍ

عربيةٍ بالانسحاب في حال تم تسليمه لوفد الائتلاف. القادة العرب يدينون في البيان الختاميّ، بأقسى العبارات، المجازر والقتل الجماعيّ الذي ترتكبه قوّات النظام ضد الشعب الأعزل.

الإفراج عن راهبات معلولا اللواتي احتجزن من قبل جبهة النصرة في القلمون بعد صفقة تبادلٍ تقضي بإطلاق النظام سراح 153 من المعتقلين لديه. وتذمّرٌ في صفوف مؤيدي النظام الذين اتهموه بالاهتمام بالراهبات والأسرى الإيرانيين على حساب ضباطه ومجنديه.

الحرّ يحرز انتصاراتٍ في ريف اللاذقية ويصل إلى البحر، بعد السيطرة على كسب والمرصد 45 وقرية السمرا والنبعين وغيرها من قرى الجبال الساحلية في معركةٍ أطلق عليها اسم "الأنفال". ومقتل قائد مليشيات الدفاع الوطنيّ في اللاذقية هلال الأسد.

أُعلنت هدنٌ في بعض مناطق الريف الدمشقيّ، كبيبلا ويلدا، بعد أشهرٍ طويلةٍ من الحصار، في الوقت الذي تنهار فيه هدنة مخيم اليرموك.

بعد حصارٍ واشتباكاتٍ عنيفةٍ دامت أكثر من شهر، سقوط يبرود بيد مليشيا حزب الله وانسحاب الثوّار إلى المناطق المحيطة.

نيسان

بشار يرشح نفسه لانتخاباته، ويعلن أن قوّاته تتقدم على جميع الجبهات. ووزارة الخارجية الأمريكية تعلق على ذلك بقولها إن "ما يجري في سوريا هو حرب استنزافٍ لا يحرز فيها أيّ طرفٍ مكاسب مهمة". وزير الخارجية الفرنسيّ لوران فابيوس يصرّح أنه كان من الخطأ عدم تدخل الغرب في سوريا.

محاولة داعش السيطرة على مناطق محاذيةٍ للحدود العراقية في ريف دير الزور، وسط مقاومةٍ محلية.

استشهاد الراهب الهولندي فرانز فان دير لوغت (الأب فرنسيس) على يد قناصة النظام في حمص القديمة.

قوّات النظام تحاول التقدّم في ريف دمشق وخصوصاً في المليحة وزملكا وجوبر وحرستا والزبداني، من دون نتائج فعلية. وتواصل قصف هذه المناطق ومناطق حلب وريف حماة بالصواريخ والبراميل المتفجرة، مما أوقع مئات الشهداء والمصابين، فيما سُجّل استخدام قوّات النظام لغاز الكلور في ريف دمشق وبعض مناطق الشمال. وقرارٌ من منظمة حظر الأسلحة الكيماوية بإرسال بعثةٍ لتقصّي الحقائق حول الهجمات الجديدة، بعد أن أعلنت المنظمة في وقتٍ سابقٍ عن أن 8% من مخزون الكيماويّ الأسديّ ما زال موجوداً في مواقع محدّدةٍ داخل البلاد.

أيار

المبعوث الدوليّ الأخضر الإبراهيميّ يستقيل من منصبه.

لقاءٌ للجربا ووفدٍ من الائتلاف مع الرئيس أوباما الذي أكد أن "الأسد فقد شرعيته بشكلٍ كامل"، فيما طالب الجربا بتزويد الجيش الحرّ بمضادّات الطيران للحدّ من المجازر التي يرتكبها طيران النظام

النظام يجري انتخاباته ويعلن أن أكثر من أحد عشر مليون سوريٍّ شاركوا فيها. والثوّار يصفونها بالمهزلة والمسرحية. ومنظماتٌ دوليةٌ تطالب بإحالة ملفّ سوريا إلى محكمة الجنايات الدولية.

انتهاء حصار حمص القديمة بعد عقد اتفاقٍ، بوساطةٍ إيرانيةٍ وإشرافٍ دوليٍّ، يقضي بخروج المحاصرين من السكان ومقاتلي الجيش الحرّ، البالغ عددهم ألفاً ومئتي مقاتلٍ، إلى الريف الشماليّ لحمص، مقابل إطلاق سراح بعض جنود النظام، وإدخال مساعداتٍ إلى قريتي نبل والزهراء الشيعيتين المحاصرتين في ريف حلب.

اشتباكاتٌ بين كتائب الجيش الحرّ وجبهة النصرة من جهةٍ وتنظيم داعش من جهةٍ أخرى في محافظة دير الزور.

انفجار سيارةٍ مفخخةٍ في معبر باب السلامة الحدوديّ مع تركيا، يودي بحياة 60 مواطناً سورياً.

فيتو روسيّ وصينيّ في مجلس الأمن ضدّ مشروع قرار إحالة ملفّ سوريا إلى محكمة الجنايات الدولية. ومنظمة العفو الدولية تصف الفيتو بـ"الخطوة القاسية التي تستخفّ بمعاناة الناس في سوريا".

حزيران

تنظيم داعش يسيطر على الموصل وتكريت ومدنٍ عراقيةٍ أخرى، ويغتنم كمياتٍ ضخمةٍ من عتاد الجيش العراقيّ المتقهقر، ثم يعلن إقامة الخلافة الإسلامية بزعامة أبي بكر البغداديّ. والتنظيم يبسط سيطرته على كامل الأجزاء المحررة من دير الزور، يعقبها بعد مدةٍ بسيطرته على الفرقة 17 في الرقة ، ويزيل الحدود بين سوريا والعراق من جهة نينوى الحسكة.

قرارٌ لرئيس الحكومة المؤقتة أحمد طعمة يحلّ به القيادة العسكرية العليا، وإقالة رئيس هيئة الأركان العميد عبد الإله البشير. والجربا يعلن إلغاء القرار.

الجيش الحرّ يتقدّم في درعا وريف إدلب. واستمرار صمود حيّ جوبر والجبهات الأخرى المشتعلة مع النظام بعد هدنةٍ في مخيم اليرموك المحاصر. ودخول مساعداتٍ غذائيةٍ إلى معضمية الشام.

دليل التنقيب "الحديث" في منطقة البوكمال

أحمد الهاشمي

أضحت آثار منطقة البوكمال، كحال بقية المواقع الأثرية السورية، وخاصةً في المناطق المحرّرة، مهرجاناً لتجمعات التنقيب العشوائيّ. الأمر الذي أدّى إلى تدمير وتشويه غالبية تلك المواقع، إضافةً الى اختفاء ما تحويه من كنوز أثريةٍ بمختلف أصنافها. ويوجد في منطقة البوكمال موقعان ذوا أهميةٍ تاريخيةٍ كبرى، إذ يعودان الى الألف الثالث قبل الميلاد؛ الأوّل ماري (تل الحريري) في قرية السيال الشرقيّ، والثاني في الصالحية (دورا أوروبوس)، عدا عن الأماكن الأخرى التي أكّدت وجودها بعثات التنقيب الأوربية في السابق، وما اكتشفه المنقبون الجدّد بأنفسهم.

الآثار؛ من زمن النظام إلى زمن داعش

في زمن حكم النظام الأسديّ للمنطقة، كان يحرّم على المواطنين الاقتراب من أيّ موقع أثريٍّ، وخصوصاً بعد أن تثبت بعثات التنقيب الأوربية وجود موقع جديد. إلا أن أجهزة الأمن كانت تزاول التنقيب ليلاً، على هيئة دورياتٍ مشتركةٍ بين المخابرات الجوّية والعسكرية وأمن الدولة، بعد أن تنسحب بعثات التنقيب من المواقع المكتشفة. وهذا ما يؤكده (علي.ا) العنصر السابق في المخابرات العسكرية من قرية الباغوز.

أما في زمن داعش فقد سمح التنظيم بعمليات التنقيب واستخراج اللقى الأثرية، لكن مقابل ضريبةٍ خاصّةٍ تساوي خمس القيمة المقدّرة لكل لقيةٍ أثرية، يدفعها المنقّب لصندوق التنظيم. وتقوم الهيئات الشرعية المحلية بفضّ النزاعات التي لا بدّ أن تنشب بين أفراد الورشات أثناء توزيع المستخرجات.

أدوات التنقيب وخبراء الشعوذة

يقول عبد الله، صاحب أكبر ورشات التنقيب في قرية الباغوز التابعة لمدينة البوكمال: "نستخدم أدواتٍ زراعيةً في الحفر، وأحياناً معدّاتٍ وآلياتٍ ثقيلةً، إذا اضطرّنا الأمر، لنزيل الطبقة الأولى من الأرض. ثم نتابع الحفر يدوياً بما تيسّر من معاول، خصوصاً بعد أن يعطي جهاز كشف المعادن إشارةً تدلّ على وجود شيءٍ ما...". ويؤكد عبد الله أن هناك الكثيرين من الذين يساعدونه في عملية الحفر السريعة هذه، بدافع الحصول على نصيبٍ من الكنوز المتوقع اكتشافها.

وفضلاً عن ذلك، لا تقتصر عمليات الحفر على المواقع الأثرية المعروفة، بل أصبح البحث يطال مواقع جديدةً بفضل "تقنيات" الشعوذة والسحر التي يزعم غالبية المنقبين أنها وسائل ناجعةٌ للاستدلال على أماكن "الدفائن"، أو لتحديد أيّ موقع جديدٍ ومعرفة ما يحتويه. وهذا ما يؤكده (علي.خ) من قرية الباغوز، المعتقل السابق لدى جبهة النصرة بتهمة استخدام الشعوذة في التنقيب. وفي نفس السياق يقول (أبو رامي.ع) إن كتب السحر التي بحوزته، وجهاز كشف المعادن، ساعداه كثيراً في تحديد مواقع أثريةٍ جديدةٍ، وفي الحصول على الكثير من التحف والذهب والفضة، عدا عن تقديم خدماته هذه لورشات التنقيب الأخرى مقابل الحصول على نسبةٍ معينةٍ يتمّ الاتفاق عليها مسبقاً في حال وجدوا شيئاً. ويعود الفضل إليه، كما يدّعي، في اكتشاف موقع النهر في قرية السوسة، الذي بدأ الحفرُ فيه منذ عام تقريباً.

ويضيف أبو رامي أن الأهمّ من الآثار هو البحث عن المومياءات، لوجود الزئبق الأحمر في حناجرها، والذي يعدّ من المواد المطلوبة، وخاصةً في الدول الخليجية، لما يُعتقد أن له من قوّةٍ سحريةٍ ترتبط بتقوية القدرة الجنسية لدى الذكور! وقد تمّ العثور على مومياءٍ -كما يقول- في موقع دورا أوروبوس.

لوحة برونزية منسوبة لموقع دورا اوروبوس في دير الزور | خاص عين المدينة

طرق البيع والتجارة

لا توجد أرقامٌ أو إحصائياتٌ تشير إلى أعداد التحف واللقى المستخرجة من المنطقة، لكثرة المنقبين، ولأن عمليات البيع تتمّ بشكلٍ سرّيٍّ، كما هو معلوم. وقسمٌ كبيرٌ منها يتمّ بيعه لتجار محليين، يتواصلون بدورهم مع تجارٍ في الخارج.

(أبو محمّد. ش)، تاجر آثارٍ مقيمٌ في غازي عنتاب، يشرح طرق توريدٍ وبيع الآثار في تركيا، فيقول إن لديه شبكةً داخل سوريا تقوم بجلب القطع الأثرية الى منطقة إعزاز بحلب، ليُدخلها بدوره إلى تركيا، ثم ينسّق مع شركائه الأتراك ليرسلوا صورها إلى تجارٍ آخرين في مدينتي أنقرة ولندن، ليعود تقريرٌ عنها يوضح إن كانت مسجّلة في منظمات الأمم المتحدة أم لا. وفي الحالة الأولى لا يتّم شراؤها من قبلهم، والعكس صحيح!

وعلى هذه الحال تستمرّ فوضى التنقيب، وبيع التراث الأثريّ للمنطقة.

داعش تغلق المجمّع التربويّ بمنبج

ميلاد بهنو

في خطوةٍ متوقعةٍ، أغلق تنظيم "الدولة الإسلامية" (داعش) المجمّع التربويّ في مدينة منبج، بعد أسابيع من إيقافه للعملية التعليمية ككلّ. ورافق قرار الإغلاق مصادرة جميع الأختام والأوراق الرسمية الموجودة في المجمّع. وفي البيان الصادر عن ديوان التعليم، وهو الجسم البديل الذي فرضته داعش لإدارة الملف التعليميّ، أعلن عن منع جميع المعلمين من ممارسة مهنتهم إلا من خضع منهم للإجراءات الخاصّة التي تؤهله لذلك، وهي الاستتابة وحضور دورةٍ شرعية. كما أشار البيان إلى قرب إصدار المناهج التعليمية الجديدة.

ويحرم قرار داعش الأخير آلاف المعلمين من سبل العيش، إذ ستقطع مديرية التربية التابعة للنظام الرواتب عنهم، حتى وإن لم ينضموا إلى جهاز داعش التعليميّ الناشئ، وذلك لعجزهم عن جلب الأوراق الرسمية المهورة بالأختام التي صادرتها داعش. يضاف إلى هذا ظهور تهمةٍ جديدةٍ لهؤلاء المعلمين تنقلها تقارير المخبرين الى أفرع المخابرات في مدينة حلب، وهي "الخضوع للدورات الشرعية" التي تشترطها داعش على كلّ من يرغب من المعلمين في مواصلة عمله.

وأمام تعنّت كلٍّ من النظام وداعش لا يجد كثيرٌ من المعلمين أية فرصةٍ للاستمرار، فبدأت موجة نزوح خاصّةٌ بهؤلاء إلى الأراضي التركية. ويأسف موجّهٌ تربويٌّ سابقٌ من ممالئة بعض المعلمين من أبناء منبج لداعش، بحسب وصفه. وينبّه إلى أن بعضهم كان مجرّد مستخدمٍ في مديرية التربية.

في المجمع التعليمي في منبج

غلاءٌ متصاعدٌ في مدينة دير الزور

تنظيم "الدولة": لا يجوز تحديد الأسعار سلفاً

خليل عبد الله

لم تتوقّف أسعار السلع الرئيسية في الأجزاء المحرّرة من مدينة دير الزور عن الارتفاع، نتيجة استخدام القوارب في نقل البضائع، بعد تفجير "الجسر اليوغسلافي" أو جسر السياسية، الممرّ البرّي الوحيد للمدينة بين ضفتي نهر الفرات.

هناك فارقٌ كبيرٌ، يصل إلى الضعف، في أسعار معظم السلع بين أحياء المدينة المحرّرة وما يقابلها على الضفة الأخرى من النهر في بلدة حطلة، بالرغم من خضوعهما لسلطةٍ واحدةٍ هي سلطة تنظيم "الدولة الاسلامية". ويعتبر السكان أن فروق الأسعار هذه ناجمةٌ عن جشع التجّار الذين يستغلون الظروف لتحقيق أرباح غير معقولة. وارتفعت أصوات الأهالي ضدّ هذا "الابتزاز"، بحسب ما يُصفون سلوك التجار. وبالنظر إلى الإمكانات المادية لمعظم السكان، يلحظ انخفاضٌ كبيرٌ في معدّل الدخل، أو انعدامه لدى كثيرٍ من العائلات. يقول محمد، وهو مقاتلٌ من بعض تشكيلات الجيش الحرّ التي واصلت عملها في المدينة بعد سيطرة التنظيم، إن مبلغ 10 آلاف ليرةٍ، الذي يأخذه كراتب كلّ شهر، لا يغطّي مصاريف تدخينه: "أنا أدخّن حمراء طويلة. الباكيت هون بـ250 ليرة، وبحطلة بـ100 أو 125. يعني الراتب ما يكفّي بسّ دخان". ويقارن ياسين، أحد سكان حيّ الحميدية، بين أسعار الخضار في المدينة وحطلة، ويشير إلى صعوبة أن يعبر كلّ يوم إلى الضفة الأخرى، بسبب ارتفاع تكلفة التنقل بالقارب، مما يلغي أيّ احتمالٍ للتوفير.

يؤمّن تنظيم "الدولة" عمليات نقل البضائع مجاناً للتجار بواسطة قوارب مخصّصةٍ لذلك، لكن الأجور المرتفعة لعمال التحميل والتفريغ على الضفتين، ومخاطر العبور خلال النهر، هي الأسباب الرئيسية لارتفاع الأسعار، بحسب ما يردّ معظم التجار على شكاوى السكان. يقول عبد الله، وهو تاجر مفرّق: "أجرة العامل الواحد 1000 ليرة عن كلّ سفينة، إضافةً إلى السرقات والضياع أثناء النقل، غير المخاطرة. مرّة انقلبت السفينة وراحت البضاعة كلها بالمي".

قبل سيطرة التنظيم، كان للمنظمات الإغاثية دورٌ كبيرٌ في مساعدة السكان وتخفيف آثار الغلاء. لكن توقف عمل معظم هذه المنظمات ترك آثاراً كارثيةً على حياة الكثيرين، وخاصّةً من يعتمد على هذه المنظمات بشكلٍ كامل. ولا يبدي قادة التنظيم ما يكفي من المسؤولية تجاه ظرفٍ هم المتسبّبون فيه؛ فقد أتاح الاحتكاك اليوميّ والمباشر لهؤلاء مع الأهالي جرأةً نسبيةً في طرح الشكاوى على بعض السلوكيات والمظاهر العامة، مثل ظاهرة الغلاء المضاعف بين المدينة وخارجها، دون أن تثمر هذه الشكاوى عن إجراءاتٍ فاعلة، إذ يتذرّع قادة التنظيم بعدم جواز تحديد الأسعار مسبقاً على التجار. مع رواج شائعاتٍ كثيرةٍ عن قرب افتتاح جمعيةٍ استهلاكيةٍ تبيع المواد والسلع بأسعارٍ مخفضةٍ ومدعومةٍ من قبل التنظيم، في محاولةٍ منه للتخفيف من حدّة الغلاء.

الأغاني وملء الفراغ في ظلّ داعش

علي خطاب

بعد دخول تنظيم "الدولة الإسلامية" إلى مدينة دير الزور، دخل معه نوعٌ جديدٌ من الأغاني لم يكن متداولاً في الماضي. ويرتبط هذا النوع، بشكلٍ أساسيٍّ، بالآلة الدعائية والشرعية للتنظيم.

تصدح اليوم، في الجزء الخاضع لتنظيم الدولة الإسلامية من مدينة دير الزور، أغانٍ (أناشيد) تمجّد الشجاعة والبطش وإراقة الدماء والانتقام. وتعدّ (أنشودة): (لنا المرهفات الغضاب البواسم/ لنا صيحة الحق حين التصادم) من أكثر الأغاني انتشاراً بين فئات المراهقين خاصةً والشباب عامةً. إذ إنها "أحدث أغنية للدواعش" كما يقول خالد، وهو شابٌّ يعمل في بقالية في شارع التكايا، لكنه لا يتورّع عن كيل الشتائم للتنظيم - في السرّ طبعاً- وفي كلّ مناسبة، لأنه "خنق الناس وكشف حال سبيلهم" بعد أن توقفت المعونات والدعم. بالرغم من أن عناصر التنظيم هم الزبائن المفضلون لدى خالد -بسبب أحوالهم المادية الجيدة، وإقبالهم على الشراء دون مناقشة الأسعار- لكنه دائم التبرم بهؤلاء الغرباء الذين يضيّقون عليه ويسلبونه حريته الشخصية، كما يقول.

وبالعودة إلى الأناشيد، فقد لاحظ الناشط الإعلاميّ أحمد التشابه الكبير بين أناشيد التنظيم وأغاني الأحزاب القومية البائدة، مثل نشيد (دولة الإسلام قامت رغم أنف الحاقدين) المشابه لنشيد حزب البعث (يا شباب العرب هيا) من حيث السعي إلى تمجيد الأشخاص وتحويلهم إلى رموز مقدسة. لكن أحمد، بالرغم من ذلك، لا يخفي "حبّه" لأنشودة (وين رشاشي) ذات اللهجة الخليجية، فيردّدها مستمتعاً بتقليد طريقة مؤديّها الطريفة، بعد أن أكمل أبياتها بكلماتٍ ساخرةٍ من تأليفه:

(وين رشاشي ... با أشعل النيران
أكلوا برنغلز ... شربوا بربيكان
باعوا الثورة ... راحوا لليونان...)

وفي نفس السياق يقول أبو عمر، وهو مطربٌ شعبيٌّ سابقٌ ومدرّس موسيقا في المدينة: "الموسيقا غذاءٌ للروح. وقد وظّفها التنظيم إيديولوجياً كما فعل البعثيون سابقاً. وهي في هذا المجال أداةٌ فعالةٌ تتخطّى الطرق الكلاسيكية في نشر الأفكار ومخاطبة عواطف الشباب".

لا يستعمل تنظيم الدولة في أغانيه الآلات الموسيقية (المعازف) لكنه يستعيض عنها بأشياء أخرى، كالكورس وجوقة المردّدين والصدى والمؤثرات الصوتية (الزئير وصوت الانفجارات والرصاص). ويركّز فيها على الجانب الحماسيّ الذي يحاول من خلاله استقطاب أنصار جدد. كما تنتظم أكثر هذه (الأناشيد) على البحور الشعرية معتمدةً على اللغة العربية الفصحى، أو بلهجةٍ خليجية، لعرض أفكار ومنجزات التنظيم. وتزخر بالكلمات الغريبة (الضياغم، مناص، الطغام...) التي لا يفهمها خالد، مثل الكثيرين غيره، حتى من عناصر التنظيم نفسه.

هجر الناس في الوقت الحالي الأغاني الثورية التي رافقت المظاهرات وانتشار الجيش الحرّ، فقد "راح دورها" كما يقول أحمد. مع احتفاظ أغنية (يا حيف) لسميح شقير بمكانةٍ مرموقةٍ لدى كافة الأعمار والفئات الاجتماعية، رغم أن المزاج الشعبيّ في دير الزور يميل عموماً إلى النمط الغنائيّ العراقيّ، بحكم التقارب الجغرافيّ والبيئيّ، ويداعب الحزن الذي عرف عن الغناء العراقيّ هذا المزاج المحليّ. كما دفع "الهوى" العراقيّ ذاته الديريين، في مراحل الثورة الأولى، إلى إعادة إحياء بعض الأغاني التي اشتهرت في فترة حروب صدام، لكن مع تعديل كلماتها لتناسب الوضع الثوريّ السوريّ وحماسه، مثل (دكي يالراجمة ويا كاع ترابك كافوري). لكن، في الوقت ذاته، شهدت الذائقة العامة في دير الزور خلال السنوات الخمسَ عشرةَ الماضية بعض التغيّرات، إذ تعدّدت مصادر الأغاني الرائجة في المدينة، فدرجت الأغاني اللبنانية والمصرية والخليجية وأغاني الساحل السوريّ، بالإضافة إلى الفلكلور الفراتي الذي أعيد توزيعه ليناسب وتيرة الدبكة السريعة. لكن بعض الشباب لم يجد في كلّ هذا ما يلامس ذائقته ومشاعره، فظهر ميلٌ للأغاني القديمة المنتمية إلى الزمن الجميل (أم كلثوم وعبد الحليم ..) بينما تمسّك البعض بأغاني فترة الثمانينيات العراقية (ياس خضر وفؤاد سالم...).

الآن، وبوجود تنظيم الدولة، أصبح الاستماع العلنيّ إلى تلك الأغاني يودي بصاحبه إلى المساءلة، وذلك لحساب الأناشيد الجهادية. لكن، في النهاية، يعلّق أستاذ الموسيقا أبو عمر على ذلك مازحاً: "تجتمع النفوس على الموسيقا كما يجتمع الذباب على السكّر". فهل تصطدم النفوس بالواقع في حالة التنظيم؟

لا حدود لجرائم نظام الأسد...
تجارب السلاح الكيميائيّ على البشر!

ملف خاص

عام 2003، وفي مقابلةٍ إذاعية، أماط الناشط السوريّ الملتبس نزار نيّوف اللثام عن معلوماتٍ خطيرةٍ حصل عليها من العميد الركن عصام أبو عجيب، الذي كان معتقلاً في سجن صيدنايا بأمرٍ من حافظ الأسد، بسبب اعتراضه في اجتماع عسكريٍّ عالي المستوى على جريمةٍ مذهلةٍ كانت المخابرات الجويّة تقوم بها، وهي إجراء تجارب للسلاح الكيماويّ على البشر!

وفيما يلي تعرض مجلة "عين المدينة" شهادةً لواحدٍ من القلائل الذين اطلّعوا على هذه التجارب الفظيعة التي أجريت على المعتقلين السياسيين من سجن تدمر، ابتداءً من العام 1985 وحتى العام 1988.

رفض الشاهد أن يكشف عن هويته بانتظار الوقت المناسب، حسب تقديره، لكشفها. لكنه سمح لنا بأن نشير إلى أنه ضابطٌ سابقٌ في المخابرات الجوية، متحدّرٌ من الطائفة العلوية،عمل في الوحدة 417 التابعة لإدارة المخابرات الجوّية لسنواتٍ عدة، كان شاهداً ومطلعاً خلالها على أفظع الجرائم التي ارتكبت في عهد حافظ الأسد، عندما استخدم البشر كفئران تجارب للأسلحة الكيماوية.

الموقع 417:

في عام 1985 بدأت التجارب الأولى لاستخدام البشر كعيّناتٍ مخبرية، وهم من معتقلي سجن تدمر حصراً، ومن سجناء الإخوان المسلمين فقط، على غير ما ذكرت تقارير "المجلس الوطنيّ للحقيقة والعدالة والمصالحة في سورية"، الذي يديره نيّوف، من أن المعتقلين أتوا من سجونٍ مختلفةٍ وبتهمٍ ودعاوى متعددة. وكان عام 1988 هو العامَ الأخير الذي تجرى فيه التجارب في هذه الوحدة التي تحوّلت، ابتداءً من عام 1990، إلى مستودعٍ عديم الأهمية يتبع إدارة القوى الجوّية، بعد أن أجريت تغييراتٌ كثيرةٌ فيه، بإنشاء هنغاراتٍ جديدةٍ، وتغيير بعض الملامح العامة الخارجية له، مما يصعّب عملية تحديد موقعه بدقّةٍ اليوم.

الطريق إلى موقع الوحدة 417:

على طريق دمشق تدمر، في منطقة أبو الشامات، وقبل استراحة الصفا، المعروفة باسم مالكها ذو الهمة شاليش، بمسافة 6-5 كم، ننحرف إلى اليمين سالكين طريقاً ترابياً لمسافة 10-8 كم، مع تعرّجاتٍ وانعطافاتٍ إلى اليسار، مما يجعل موقع الوحدة بين موقع أبو الشامات وبين معمل إسمنت البادية الذي أنشئ قبل 10 أو 11 عاماً من الآن، بعد أن توقف العمل في الوحدة بسنواتٍ كثيرة. وسابقاً، كان يمكن للشخص أن يشاهد الأشجار الكثيفة العالية المزروعة في مقدّمة موقع الوحدة إذا وقف على طريق دمشق تدمر عند استراحة الصفا أو ذو الهمة، وأولاها ظهره ونظر بشكلٍ عموديٍّ على الطريق، مع انحراف بدرجاتٍ قليلةٍ إلى اليمين، إذ سيشاهد أعلى الأشجار. ولا يمكن تحديد الموقع بدقةٍ عبر برنامج google Earth بسبب حدوث بعض التغيرات في المنطقة. وربما، وبحسب تقديري وفهمي لسلوك إدارة المخابرات الجوية، فإنها سمحت بإقامة معمل إسمنت البادية -يقال إن رامي مخلوف شريكٌ رئيسيٌّ أو مالكٌ له- للتشويش وصرف الانتباه عن هذه المنطقة الغامضة بعد إيقاف التجارب فيها بسنواتٍ كثيرة، بجعلها منطقةً مطروقةً من قبل العاملين في المعمل. وربما لتلويث الموقع بملوّثاتٍ مبرّرةٍ مثل ملوّثات معمل الإسمنت.

وصف الموقع من الداخل:

أبعاد الموقع، بحسب تقديري، 3×1.5 كم. في الجزء الأوّل المتاخم للباب الرئيسيّ توجد أشجارٌ كثيفةٌ ثم مسافةٌ فتأتي الهنغارات وهي خمسة أو ستة هنغارات حسب ما أذكر في العام 1985. بعضها هنغارات توقيف المعتقلين قبل يوم التجربة، والبعض الآخر هنغارات تخزين. وتتراوح أبعادها بين 20 إلى 30 متراً. أما الهنغار الأهم فهو هنغار المخبر الخاصّ بالتجارب، وتقدّر أبعاده بـ 15×8 م. وله ستة شبابيك زجاجية، تفتح وتغلق من الخارج. وله بابان بنفس طريقة الفتح والإغلاق، يُستخدم أحدهما في الأحوال العادية والآخر في حالات الطوارئ.

سير التجربة:

قبل كلّ سلسلة تجارب، تتوجّه سيارات المخابرات الجوية، بإمرة ضابطٍ من المجموعة العاملة في ملفّ التجارب، إلى سجن تدمر، مصطحبةً باصين أو ثلاثةً بسعة 40 راكباً، أو أربعة أو خمسة سرافيس (مازدا حمراء) بسعة عشرين راكباً. وهناك يطلبون من مدير السجن تسليمهم العدد الذي يريدون، فيقوم باختيارهم عشوائياً، لتعود بهم القافلة إلى الوحدة 417 ويلاقوا حتفهم هناك.

يوضع السجناء في أحد الهنغارات المخصّصة. وفي حالات البرد القارس يُنقلون إلى سجن الوحدة الواقع تحت مبنى القيادة، خوفاً من موتهم أو مرضهم مما يؤثر على ظروف التجربة. ويُعاملون في الأيام التي تسبق التجربة معاملةً حسنةً من ناحية الطعام وعدم الضرب أو التعذيب، لكن الأيام القليلة التي يأكلون فيها ثلاث وجباتٍ هي مدّةٌ غير كافيةٍ لتحسّن حالتهم الصحية المتدهورة نتيجةً الوضع القاسي في سجن تدمر. وفي اليوم المحدّد لإجراء التجربة ينقل السجناء إلى هنغار (المخبر) ويجمعون في آخره. ويدخل إليهم أحد الضباط ويخبرهم بلطفٍ شديدٍ أنه سيُعاد التحقيق مع كلّ واحدٍ منهم بعد أيام قليلة، وبعدها سيطلق سراحهم ويعودون إلى بيوتهم. ثم يخبرهم -كملاحظةٍ جانبية- أنه سترمى الآن في الهنغار قنبلةُ غازٍ مسيلٍ للدموع. وأن عليهم -فور إطلاقها- أن يركضوا نحو أطباق البصل القريبة منهم في الهنغار -البصل من اعدادات التجربة- ليستعينوا به على تخفيف أثر الغاز. ينسحب الضابط بلطفٍ. وبعدها مباشرةً يلقي أحدهم قنبلةً سامةً -بعد أن يرتدي اللباس الخاصّ- ودون أن يدخل إلى الهنغار، ثم يغلق الباب من الخارج.

ويتابع ضباط المخابرات الجوية التجربة عبر النوافذ الزجاجية المغلقة بإحكام. وخلال أقلّ من دقيقةٍ يمرّ المعتقلون بحالة اختلاجٍ رهيبةٍ ثم لا يلبثوا أن يتوقفوا عن الحراك، دون أن يتمكن أيٌّ منهم من الوصول إلى البصل. خلال ذلك الوقت يصمت علي مملوك -قائد فرع تحقيق المخابرات الجوية في المزّة، والمكلف بإدارة التجارب في حينه- وقد يبتسم ابتسامةً خفيفةً في بعض المرات. وإلى جانبه الضباط المسؤولون عن الملف، الذين يبدون سعداء سعادةً بالغة، وخاصّةً النقيب (ثم الرائد) همام زينة، الذي لا يتوقف عن الضحك والصراخ في حالة فرحٍ غريبة. وكان يحضر التجربة كذلك بعض خبراء البحوث العلمية العاملين في ملف السلاح الكيميائيّ، يدوّنون ملاحظاتهم بدقة. وأذكر منهم خبيراً طويلاً ونحيفاً، أسمر اللون، لا يحبّ الكلام.

بعد انتهاء التجربة بساعاتٍ، وبعد تهوية الهنغار، تنقل الجثث إلى الجرّافات التي تتولى حملها على دفعاتٍ إلى حفرةٍ كبيرةٍ معدّةٍ من قبل. وتتمّ دفن جميع الجثث في مساحةٍ تبعد 1 كم جنوب الوحدة، بجوار "شعيبٍ" أو مجرىً مائيّ.

ويعدّ يوم التجربة يوم احتفالٍ في الوحدة 417، إذ تُفتح زجاجات الويسكي ويُجلب الطعام الفاخر وتُلقى النوادر والتعليقات على العمل والتجارب. وكثيراً ما تتردد عباراتٌ من نحو: "قتلتن كلّن مثل ما تقتل الذبان... البيف باف".

"الله لا يردّن.. يحرق قرعة بيّن كلّن إخونجية".

ونادراً ما يخرج ناجٍ واحدٌ أو اثنين من هذه التجارب، فيُسجن في سجن الوحدة -انفرادياً- حتى يقترب موعد التجربة القادمة فيُضمّ إلى العيّنة الجديدة ليلقى حتفه معها. والغريب هو الاستسلام الذي يبديه هؤلاء لمصيرهم، إذ لا يُبدون تذمراً أو أياً من محاولات الفرار التي يقدم عليها المقبلون على الإعدام. إنما يتحرّكون بهدوءٍ إلى الهنغار، ويصغون إلى الشخص الذي يعدهم بإطلاق سراحهم بعد "تجربة الغاز المسيل للدموع". والمعتقل الناجي من المرّة الماضية يعلم أن هذا كله كذب، لكنه لا يبدي، في معظم الأحوال، أيّة ردة فعلٍ خاصّة.

***

أجري العدد الأكبر من هذه التجارب عام 1985، إذ بلغت حوالي 30 تجربة كنت شاهداً على عشرين منها، وراقبت المساجين عبر النوافذ في سبع مرّاتٍ منها. وكانت التجارب تقام وفق برنامج يتمّ تغييره بحسب نتائج كلّ تجربة. ولكن، بعد سلسلةٍ من التجارب على نوعٍ من الأنواع السامة، نتوقّف لمدّة شهر أو شهرين ثم تعاد التجارب من جديد، وهكذا. أقدّر عدد الأشخاص الذين خضعوا لهذه التجارب عام 1985 بحوالي 500 شخص، كلهم، كما أسلفت، من سجناء تدمر من الإخوان المسلمين.

بعد كلّ تجربةٍ تُدوّن النتائج بدقةٍ، وتُرفع في تقريرٍ خاصٍّ إلى الإدارة، ويُوصف سير التجربة بـ"أزهقت تجربة اليوم 15 روحاً" في تورية عن الروح البشرية إلى أرواح الحيوانات التي جرت العادة أن تكون عينات اختبارٍ لمثل هذا النوع من التجارب. والسبب في هذا التمويه هو الاحتياطات الأمنية المشدّدة. ويُعاد في كلّ مرّةٍ إعداد الخلطات وتغيير نسبها وأوزانها، وكذلك إدخال موادٍ جديدةٍ وفق التعليمات المدوّنة في جداول دول المصدر؛ وهي الاتحاد السوفييتي ثم بيلاروسيا وأوكرانيا؛ إيران؛ كوريا الشمالية؛ ألمانيا الشرقية؛ فرنسا (فقد قرأتُ في إحدى المرّات تنبيهاتٍ فرنسيةً بعدد كلماتٍ قليلٍ على صندوقٍ يحوي مادة VX القاتلة).

وبعد كلّ سلسلة تجارب على نوعٍ معيّنٍ أو خلطةٍ معيّنةٍ تُجرى تجربةٌ نهائيةٌ تحضرها شخصياتٌ كبرى مثل اللواء محمد الخولي، اللواء علي دوبا، ضباط القصر الجمهوريّ المكلفين بمتابعة الملف.

في عام 1986، وبعد عامٍ حافلٍ من التجارب الناجحة التي تفوّق فيها خبراء المخابرات الجوية ومركز البحوث العلمية، الذي يعدّ العقل العلميّ لهذا الملف وشريك المخابرات الجوية فيه، على دول المصدر بابتكاراتهم وتعديلاتهم الخاصة؛ تقلّص عدد التجارب إلى النصف أو أقلّ بالمقارنة مع عام 1985. وقدّر عدد الضحايا الذين خضعوا للتجارب في عام 1986 بحوالي 300–200 شخص. وكانت التجارب بمعظمها على غاز الأعصاب VX أو غاز السارين. وفي العامين اللاحقين لم يُجرَ في الوحدة 417 إلا عددٌ قليلٌ جداً من التجارب، بهدف التدقيق والتأكد. لتبدأ بعدها تجارب من النوع المسمّى بالتجارب المفتوحة التي تُجرى في الهواء الطلق، إذ يُنقل المعتقلون إلى الموقع المحدّد، وهو، منذ العام 1995، حقل الرمي التابع لمطار السيجال (المعروف بالسين) والذي يقع جنوب المطار المذكور. وصار عدد المعتقلين يرتفع إلى 50 شخصاً في كلّ تجربة. وتستخدم الطائرات في هذا النوع من التجارب، إذ تحضر القذائف إلى كلّ طائرةٍ ثم يؤمر الطيار بالإقلاع والتحليق بسرعةٍ وارتفاعٍ محدّدين والقيام بإطلاق القذائف وهو لا يعلم أنه يلقي قنابل كيمياوية، حسبما أذكر. وأعرف طياراً من محافظة دمشق برتبة عقيدٍ شارك في هذه التجربة مرّتين وهو لا يعلم أنه يضرب معتقلين سياسيين بغاز قاتل. وتُعاد التجارب المفتوحة في أجواءٍ مختلفةٍ وفي جميع الفصول وأوقات اليوم وحالات الطقس، مما يرفع عدد الأشخاص الذين خضعوا لهذه التجارب إلى آلافٍ أعجز عن تقديرها.

بعد عام 1985 بدأ العمل بإنشاء مواقع أخرى، فأنشئت كلٌّ من الوحدتين 418 و419. ثم، وفي أعوام التسعينات، أنشئت مواقع عدّةٌ لصناعة الاسلحة الكيماوية، ولا أعلم إن كانت قد أجريت فيها تجارب كتجارب الوحدة 417. إلا أنه من المؤكد أن الوحدة 418، المعروفة اختصاراً باسمها الحركيّ في أوساط العاملين في هذا الملف باسم (زوبع)، قد أجريت فيها تجارب شبيهةٌ ولكن لعددٍ قليلٍ من المرّات. وفي نهاية عام 1989 بدأ العمل بموقع زوبع وتسلم رئاسته أحد ضباط علي مملوك، من العاملين معه في الملف الكيماويّ في الوحدة 417، وهو الرائد سمير لطفي.

موقع زوبع:

على خلاف الوحدة 417 تمكّنتُ من تحديد إحداثيات الموقع زوبع. وهي عند الباب الرئيسيّ أو مدخل الموقع: 45°36'08.45 شرق؛ 53°33'50.40 شمال. وأما الطريق إلى زوبع فهي، بالنسبة إلى ما كنا نسلكه عادةً في زياراتنا للموقع، ومن نقطةٍ معلومةٍ هي بلدة الناصرية في القلمون الشرقيّ، بعد مرورنا في الشارع الرئيسيّ التي يقسم البلدة إلى قسمين، وعند المفرق على يسار هذا الطريق، والذي يقع جامع النور في أوله كما تبدي خرائط google Earth، ننحرف إلى اليسار ونسير مسافة 3.8 – 4 كم. ونسلك مفرقاً إلى اليسار. ثم نسير في طريقٍ داخل مواقع عسكريةٍ للدبابات والمدفعية. وبعد أن نجتازها، وبعد مسافة 6 كم، نصل إلى المدخل الرئيسيّ لزوبع.

وصف الموقع:

الشكل: صندوقٌ مفتوحٌ من جهة المدخل، تحيط به الجبال من ثلاث جهاتٍ على اليمين والأمام واليسار. وفي وسط الموقع أنشئ مجبل إسفلتٍ ومقلعٌ صخريٌّ للتمويه عن طبيعة الموقع، إذ تُشغّل هذه المنشآت في أوقات عملنا ونقلنا للمواد وإدخال الشاحنات. على كامل محيط الموقع وأسفل الجبال تتوزّع أنفاقٌ محفورةٌ في بطن الجبال، عمق كلّ نفقٍ بين 3–2 كم. تستطيع سيارةٌ شاحنةٌ أن تستدير في ساحة النفق. وتقع المنشأة الخاصّة بمعمل زوبع تحديداً في كلّ من النفقين الواقعين في الجهة الأمامية اليسارية للموقع.

شخصياتٌ عملت في ملفّ التجارب الكيماوية على البشر:

الترتيب حسب سلم الرتبة والأهمية في العام 1985

1- قائد البرنامج المقدّم علي مملوك: يرجّح أن يكون خريجاً جامعياً باختصاص الكيمياء. وكان وقتها رئيس فرع تحقيق المخابرات الجوية الكائن في مطار المزة. وهو من أصولٍ علويةٍ من لواء إسكندرون، هاجرت أسرته بعد سلخ اللواء لتستقرّ في حيّ الجورة بدمشق، لينشأ كشيعيٍّ ويصدّر للعامة كسنّيٍّ دمشقيّ. وهو من مواليد 1949. مسجّلٌ في محلّة ورقم القيد ساروجة خ49. وبعد ترك مملوك لهذا الملف تسلمه العميد محمود رحمون رئيس فرع المنطقة بعد العام 2000. سنّي من بلدة خان شيخون. متزوّج من سيدة علوية من القرداحة.

2- الرائد نزيه حسون: معاون علي مملوك في رئاسة فرع التحقيق عام 1985. وهو الشخص الثاني بعد مملوك في إدارة التجارب والبرنامج الكيماويّ. استمرّ بالعمل في هذا الملف حتى العام 1990 إذ نقل إلى مطار دمشق الدوليّ ليترفع روتينياً. وهو الآن برتبة لواء. ويشغل نائب رئيس إدارة أمن الدولة. درزي/ السويداء/ قرية القريا.

3- همام زينة: بدأ العمل في الوحدة 417 برتبة نقيب ثم رُفّع إلى رائدٍ أثناء عمله في الوحدة 417. وهو الآن برتبة عميد. ويشغل منصب رئيس فرع الأمن الجويّ بإدارة المخابرات الجوية. علوي/ اللاذقية/ جبلة/ بيت عانة.

4- جودت أحمد: بدأ العمل في وحدة 417 في عام 1985 برتبة نقيب -من دورة همام زيني- ورقّي إلى رائد. وصل الى رتبة عميد في العام 2003 في إدارة المخابرات الجوية. علوي/ القرداحة. ويقال إنه كان مقرّباً جداً من باسل الاسد. وهو مصابٌ في ساقه بعد انفجار قنبلةٍ خطأً، وحالت صداقته بباسل دون تسريحه.

5- يحيى صوفان: في عام 1985 كان برتبة ملازم أوّل احتياط. وهو خريج حقوق. طلب التطوّع ورُفّع لاحقاً بشكلٍ روتينيٍّ حتى وصل إلى رتبة عقيد. سُرّح في العام 2008. ليُعاد إلى الخدمة بعد اندلاع الثورة السورية عام 2011، ويكلف بقيادة جيش الدفاع الوطنيّ في منقطة تلكلخ. قتل في شباط 2014 في بلدة الغنطو. شيعيّ من ريف حمص.

6- سمير لطفي: نقل في العام 1985، برتبة رائدٍ، من فرع مركبات إدارة المخابرات الجوية إلى الوحدة 417 وعمل فيها لمدّة سنتين. ثم تسلم رئاسة الموقع 418 أو زوبع في جبال الناصرية قيد الإنشاء آنذاك. ولد عام 1952 في حيّ عين الكرش بدمشق، لعائلةٍ علويةٍ مهاجرةٍ من اللواء، اعتنقت المذهب الشيعيّ في وقتٍ غير معروف.

7- العميد جمال حبيب: مدير الوحدة 417. قليل الأهمية والنفوذ. شركسيّ من القنيطرة.

أشخاصٌ على صلةٍ بالملفّ وعملوا فيه في أوقاتٍ زمنيةٍ مختلفة:

1- العميد علي عبد الكريم: كان قائداً للواء 155. وهو أحد المكلّفين بالسفر إلى الخارج لأعمالٍ خاصّةٍ بملفّ السلاح الكيماويّ. عمل، منذ عام 1996، ملحقاً عسكرياً في السفارة السورية بطهران. علوي/ اللاذقية.

2- العميد المتقاعد محمود الصالح: كان يرئس مركز البيئة التابع اسمياً لوزارة البيئة، وفعلياً للمخابرات الجوية. ويقع مقرّ المركز في حيّ المزّة فيلات بدمشق، بعد مكان إقامة رئيس الوزراء بـ500 م، على نفس الصفّ. لم تكن على باب المركز أيّة لافتةٍ أو لوحةٍ تشير إلى طبيعته، لكن عُلقت عليه مؤخراً لوحة: وزارة البيئة - مركز تحليل المياه.

3- النقيب محمد بلال: المخابرات الجوية، فرع تحقيق المزة. علوي/ القرداحة. التحق بالملف عام 1997.

4- الدكتور معن العظمة مختصٌّ بالكيمياء في مركز البحوث العلمية. استدعي من ألمانيا عام 1993، وقُدّمت له إغراءاتٌ كبرى. ولم يكن يعلم حين قدومه أنه سيعمل في هذا الملف، ولكنه استمرّ على رأس عمله حتى نهاية التسعينات. كان حاضراً في التجارب التي أجريت عام 1995 في حقل الرمي بمطار السيجال (السين). سنّي دمشقي.

5- خبير من عائلة الآلوسي الكردية ا لد مشقية .

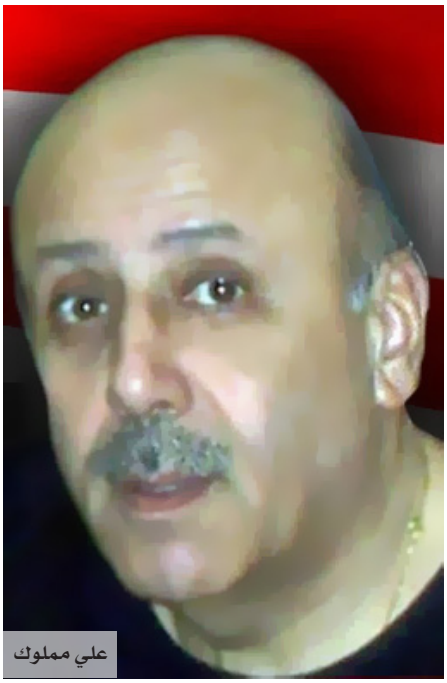
علي مملوك

بعض صفّ الضباط الذين عملوا في تجارب الوحدة 417:

1- المساعد أوّل محمد حربا: يقيم الآن في مساكن المعضمية. تعاقد مع إدارة البحوث العلمية بعد بلوغه سن التقاعد من الجيش. علوي/ عين شقاق.

2- المساعد أوّل محمد سلوم: علوي/ طرطوس/ القدموس.

3- المساعد أوّل فؤاد كاسو: استلم لاحقاً أمن السفارة التشيكية ثم الكورية الشمالية. علوي/ ريف اللاذقية.

4- المساعد شيرين خوت: يقيم الآن في رومانيا. شركسيّ/ القنيطرة.

5- الرقيب أوّل إلياس حرب: مسيحيّ/ مشتى الحلو/ جويخات.

لم تتوقف التجارب الكيماوية على البشر بعد إيقاف العمل في الوحدة 417 عام 1989، إنما تغيّرت طريقة إجراء التجارب بعد تعدّد المواقع المختصّة بتصنيع المواد الكيماوية. والتي يمكن الحديث عنها في حلقاتٍ قادمة.

عينٌ على سرمدا

فراس العمري

كما هو حال أغلب القرى والمناطق التي تعتمد على الزراعة في سوريا، تراجعت الزراعة في سرمدا مع بدء الثورة. ويُعزى ذلك إلى انخراط كثيرٍ من أهالي البلدة في الثورة ضد النظام، فضلاً عن غلاء سعر المحروقات، وغياب الجمعيات الفلاحية. لكن، ومع مرور الوقت، لم تتوقف الحياة الاقتصادية والخدمية في البلدة، وبدأت مرحلةٌ جديدةٌ فرضها الواقع وتغيّراته.

تجارة الجملة والسيارات والصيرفة

تحرّرت سرمدا في 19-7-2012، بعد سيطرة كتائب الثوّار على معبر باب الهوى الحدوديّ المقابل للبلدة. وبدأ السكان، منذ ذلك الحين، بالاعتماد على التجارة، مع توافد البضائع التركية القادمة من المعبر الذي زاد مرور الشاحنات التجارية من خلاله. ثم، وللمفارقة، أسهمت سيطرة تنظيم الدولة على مناطق ومعابر تل أبيض وجرابلس في إنعاش الحركة الاقتصادية في سرمدا. فمع إغلاق هذين المعبرين، اللذين كانا بوابة دخول الكثير من البضائع التجارية وشاحنات الإغاثة إلى سوريا، تحوّل النشاط إلى باب السلامة شمال حلب وباب الهوى، ما جعل سرمدا قبلةً يؤمّها التجار من المحافظات الأخرى لفتح محلات الجملة التي تُعنى -بشكلٍ أساسيٍّ- بالمواد الغذائية. كما تميّز سوقها الصغير بكثرة مكاتب الصرافة وتحويل الأموال، والتي تربو فيه عن 30 مكتباً، ضمن مسافةٍ لا تتجاوز 2 كم.

أبو أحمد تاجرٌ من مدينة الباب، استقرّ في البلدة لمتابعة عمله في سوق السيارات الذي وصفه بـ"السوق الأكبر في المناطق المحرّرة"، معللاً ذلك بنشاط بيع السيارات الأوروبية القادمة من تركيا. إذ تجيز قوانين الشراكة بين تركيا والاتحاد الأوربيّ بقاء السيارات الأوربية في الأراضي التركية لمدّة ثلاثة أشهر، ثم تباع في مدينة الريحانية التركية القريبة من معبر باب الهوى قبل موعد خروجها، ليشتريها التجّار السوريون ويدخلوها إلى سوريا عبر سرمدا بشكلٍ رئيسيٍّ. إلا أن أبو أحمد يشتكي الآن، مثل معظم تجّار السيارات في السوق، من تراجع نشاطهم في الشهور الماضية، بعد منع الجانب التركيّ السيارات الأوربية من العبور إلى سوريا. ولم ينسَ أبو أحمد أن يشير إلى افتقاد سوق سرمدا لتجار دير الزور بعد سيطرة تنظيم الدولة على مناطقهم.

السوق الرئيسي في سرمدا - حلب نيوز

سوق العقار ونشاط المجلس المحليّ الثوريّ

ساعد موقع سرمدا، القريب من الحدود والبعيد عن القصف ومناطق الاشتباك، على تحويل البلدة إلى قبلةٍ للنازحين، فضلاً عن التجّار الذين أقاموا فيها، فبرزت حركةٌ عمرانيةٌ تزامنت مع ارتفاع الطلب على العقارات. ويتحدّث المهندس أبو نزار، وهو صاحب مكتب عقاريٍّ، عن غلاء أسعار العقارات قائلاً: "البلدة التي كان تعدادها لا يتجاوز 30 ألفاً تضمّ اليوم أكثر من 70 ألفاً. ويتراوح إيجار الشقة الصغيرة على أطراف البلدة بين 20 – 25 ألف ليرةٍ، بينما يصل إيجار الشقة القريبة من السوق إلى 60 ألف ليرةٍ شهرياً أحياناً. مما حرّض التجار على فتح مشاريع سكنيةٍ جديدةٍ، ليتراوح سعر الشقة وسط البلدة بين أربعة إلى تسعة ملايين، تبعاً للمساحة والموقع". ويرى أبو نزار أن للمجلس المحلّي الثوريّ تجربةٌ ناجحةٌ خلال الشهور الماضية، إذ دأب على توفير المازوت لمحطة المياه، كما قام بتركيب 80 فاصمة لمحوّلات الكهرباء، وإصلاح أعطال الشبكة، وأنشأ كتيبة مرور سرمدا، التي تعنى بتنظيم السير.

الحسبة ودار القضاء

انتهت المعارك بين جبهة ثوّار سوريا وجبهة النصرة بسيطرة الأخيرة على معظم مناطق ريف إدلب ومن ضمنها سرمدا. واليوم، لا يكاد يخلو شارعٌ في البلدة من اللافتات الدعوية الخاصّة بمركز دعاة الجهاد والإعلانات عن مسابقات تحفيظ القرآن والخيم الدعوية التي يشرف عليها المركز والنصرة. وقامت الأخيرة بإنشاء دار القضاء التي منعت المظاهر المسلحة، وإنشاء الحسبة التي أصدرت قراراً ملزماً بإغلاق المحلات أثناء صلاة الجمعة. وتقوم سيارة الحسبة بجولاتٍ في السوق أثناء صلاة الجماعة، لتطلب من الأهالي التوجّه الى المساجد دون معاقبة المخالف. وعند لقاء أحد عناصر الحسبة، الذي كنّى نفسه بأبي عبد الرحمن، أكّد "أن التوصيات الموجّهة إليهم من المكتب الدعويّ الخاصّ بالنصرة تقتضي عدم تعنيف الأهالي، والدعوة الى إقامة الصلاة في المساجد بالحكمة والموعظة الحسنة".

الواقع التدريسيّ في المخيّمات التركية

حسن ممس

أكثر من 60 ألف طالبٍ سوريٍّ يتابع دراسته في تركيا، يتوزّعون على 55 مدرسةً سوريةً، حسب ما أفادت به جريدة ياني شَفك التركية. يقطن معظمهم في مخيمات اللجوء، ويتابعون دراستهم في مدارسها.

ويتصدّر مخيم كلس اللائحة بعدد طلاب يقارب 3700، منهم 120 في المرحلة الثانوية. ويبلغ كادره التدريسيّ 135 مدرّساً. ليأتي بعده مخيم ملاطيا الذي تحوي مدارسه على 3000 طالب، يشرف على تدريسهم 125 معلماً. ويضم مخيم يايلاداغ حوالي 700 طالب و34 مدرّساً. أمّا مخيم ألتينوز في منطقة أنطاكيا فيدرس فيه أكثر من 700 طالب مع 36 من المعلمين. وفي ظلّ هذه الأرقام يعاني النظام التعليميّ في المخيمات من مشاكل أساسيةٍ لا بدّ من التوقف عندها.

عملٌ بلا راتب

منذ افتتاح المدارس في المخيّمات بدأ المدرّسون مهامّهم بشكلٍ تطوعيٍّ، بالتوازي مع وعودٍ وآمالٍ من قبل الحكومة المؤقتة والائتلاف بتخصيص رواتب شهريةٍ ثابتة. لكن تلك الوعود لم تدخل حيّز التنفيذ، فقد قامت وزارة التعليم بمنح بعض المدرّسين 90 دولاراً بشكلٍ متقطّع. وقد أكد الأستاذ عمّار حاج يوسف، الموجّه الأول في مدرسة كلس، عندما التقيناه: "أنّ الحكومة المؤقتة لم تقدّم حتى قلم رصاص واحداً لمدرسة المخيم، رغم كلّ المناشدات والمطالبات. لم نرَ ولو أذناً منهم تصغي لمطالبنا، مع العلم أن راتب موظفٍ واحدٍ في الحكومة يكفي لتغطية رواتب العديد من المعلمين. ولا حاجة لأن نقارن المجهود الذي يبذله المدرّسون وأعباء وتكاليف الحياة التي يتحملونها، خاصّة القاطنين منهم خارج المخيمات، بما يفعله موظفو الوزارة". ولدى سؤاله عن المساعدات التي تقدّم من الجهات المستقلة قال: تبنت هيئة شام الإسلاميّة المدرسة لمدة ستة أشهر في العام الدراسيّ 2013/2014، وقامت بتقديم رواتب شهريةٍ لكلّ مدرّس بمقدار 250 ليرةً تركية، أي ما يعادل 120 دولاراً. كما قامت منظمة اليونيسف بمنح المدرّسين مكافأةً رمزيةً غير منتظمةٍ مقدارها 100 دولار.

والجدير بالذكر أنّ مدير التعليم في ولاية هاتاي التركية عقد اجتماعاً لمديري المدارس السورية في الولاية، ليبلغهم بقرار تعيين مديرٍ تركيٍّ لكلّ مدرسة، وقال إنّ اليونيسيف قرّرت إعطاء المدرّسين رواتب ثابتةً بمقدار 150 دولاراً، لكن لم ينفذ شيءٌ من ذلك حتى الآن. كما تجدر الإشارة هنا إلى أن الحكومة التركية تقوم بتقديم المستلزمات الخدمية التي تحتاجها مدارس المخيمات، من مقاعد وخيمٍ وقرطاسية.

مخيم ألتينوز - من أرشيف المدرسة

مناهج متقلبة

بدأت المدارس بتدريس مناهج وزارة التعليم في الحكومة المؤقتة، المطابقة لمناهج النظام بعد أن أجريت عليها بعض التعديلات. لكن، بسبب عدم اعتراف الحكومة التركية بالشهادة الصادرة عن الائتلاف، مع اعترافها بالشهادة الصادرة عن المدارس التي تعتمد المنهاج الليبيّ، توقفت الكثير من المدارس عن تدريس منهاج الحكومة المؤقتة، وأصبحت 60% من مدارس المخيمات تدرّس المنهاج الليبيّ، مثل مخيمات (يايلاداغ، أبايدن، بخشين، ألتينوز، وغيرها). فيما ظلّت بعض المدارس تدرّس المنهاج السوريّ، مثل مدارس مخيمات (كلس، ملاطيا، الإصلاحية)، وبعض المدارس خارج المخيمات.

وقد قامت الحكومة الليبية، بالتنسيق مع الهيئة السورية للتربية والتعليم، بإرسال المناهج التدريسية الى المدارس، وإرسال مندوبين ورؤساء مراكز من قبلها للإشراف على الامتحانات، بالإضافة إلى إرسال أسئلة امتحانات الثانوية مطبوعةً بأسماء الطلاب المتقدّمين. وقد بلغ عدد الطلاب السوريين الحاصلين على الشهادة الثانوية الليبية أكثر من 1000، حسب الموقع الرسميّ للوزارة الليبية. لكن، بالرغم من ذلك، فإنّ الكتب المدرسية المقرّرة، والتي تغيّرت هذا العام، لم تصل إلى جميع المدارس حتى الآن، بل وصلت نسخةٌ إلكترونيّةٌ بدلاً عنها، قام مدراء المدارس بطباعتها على نفقتهم الخاصة أو بمساعدة بعض الداعمين.

وحول المنهاج الليبيّ أفاد طالب الثالث الثانويّ العلميّ مصطفى بستاني، من مدرسة مخيم ألتينوز، أن "هناك اختلافاً بين ما وصل من نسخ الكتب وبين النسخ الإلكترونية التي طبعت، وخصوصاً في مادة اللغة العربية". وهذا ما أكده الأستاذ بشار مرشان، مدير المدرسة، لدى سؤاله عن ذلك. كما اشتكى الطالب بستاني من عدم معرفة طريقة وضع العلامات الامتحانية ومن سيقوم بوضعها. وهذا ما يعكس وضع وظروف التعليم غير الطبيعية التي يمرّ بها طلاب المخيمات، عسى أن يحمل لهم المستقبل القريب شيئاً مما يستحقون.

علينا الاستثمار في تعليم اللاجئين السوريين
إن أردنا لدورة العنف أن تتوقف

ميليسا فيلمينغ*/ جريدة الغارديان
ترجمة مأمون حلبي

عندما أتحدّث مع لاجئين فرّوا من سوريا، كثيراً ما أسألهم: "ماذا أخذتم معكم؟ ما هو الشيء الأكثر أهميةً الذي لم تستطيعوا تركه خلفكم؟" تتنوّع الأجوبة: أحد الرجال أخذ صورةً لزوجته تعود إلى الزمن السعيد. احدى الصبايا حملت قطعة مجوهراتٍ كانت ترتديها في الاحتفالات. هاني، فتىً سوريٌّ يعيش حالياً في لبنان، قال لي إنه لم يتردّد عندما وصل القتال إلى الحيّ الذي يقطنه وكان عليه الهروب. "أخذت شهادتي الثانوية لأن حياتي تتوقف عليها". في مدينة حمص كان هاني قد خاطر بحياته من أجل قطعة الورق تلك. كان قد عانى الكثير في السير في بعض من أخطر الشوارع في سوريا فقط لكي يصل إلى المدرسة. الطلاب الذكور من أمثاله كانوا هدفاً رئيسياً للقناصين أو للتجنيد الإجباريّ. دمّرت القذائف مدرسة أخيه. لكن إرادة التعلم لديه كانت أقوى بكثير من خوفه. شهادته الدراسية هي إثباتٌ على ما كان قد حققه، كما أنها المفتاح نحو التعليم الأعلى، وقد أخذها معه لأنه يرى فيها مفتاح مساعدته للخروج من هذه الأزمة. ذات مرّةٍ قال لي: "إن لم أكن طالباً فأنا لا شيء". ومع أنه وصل إلى لبنان قبل عامين، إلا أن شهادته الثانوية ما زالت مغلفةً بعنايةٍ وغير مستعملة. لقد بدأ اليأس يتسرّب إليه. نتراسل أنا وهاني من حينٍ لآخر، وفي إيميل حديثٍ أرسل لي هذه القصيدة، وهي تلخيصٌ لحالته الذهنية: أشتاق لنفسي ولأصحابي/ ولأزمنةٍ كنت أقرأ فيها الروايات أو أكتب القصائد./ أشتاق للعصافير ولشاي الصباح/ لغرفتي وكتبي/ لنفسي ولكلّ شيءٍ كان يجعلني أبتسم./ آه!/ كان لدي كثير من الأحلام التي كانت على وشك أن تتحقق.

أكثر من 3 ملايين سوريٍّ هم الآن في بلدان الجوار، ما يجعلهم أكبر مجموعة سكانية لاجئة في العالم، ويتزايدون وسطياً 100000 في الشهر. البنى التحتية في أماكن سكنهم استنفدت طاقتها، ويتمّ تخديمها من قبل وكالاتٍ إغاثيةٍ لا تموّل بما يكفي وتعمل بما يفوق طاقتها. أكثر ما يقلقني هو مصير المليون ونصف من الأطفال السوريين اللاجئين. عددٌ قليلٌ جداً منهم هم الآن في المدرسة. في لبنان يذهب إلى المدرسة واحدٌ فقط من كل خمسة أطفالٍ سوريين، وعلى مستوى الدراسة الثانوية ينخفض العدد إلى أقل من 10%. وقد بُذلت جهود لاستيعابهم في المدارس. لكن، بالنسبة إلى معظمهم، تكون المدرسة إما أبعد من أن يستطيعوا الوصول إليها، أو تكلف أكثر من طاقتهم. كثيرٌ من العائلات التي حلّ بها الفقر ترسل أطفالها للعمل في الحقول والمصانع القريبة أو لبيع الحاجيات في الشوارع. مع ذلك يخبرنا الأطفال اللاجئون، تقريباً دائماً، أن التعليم أهمّ شيءٍ في حياتهم. عندما سألتُ فتاةً لاجئةً اسمها طيف، في مخيم في وادي البقاع، ما هو الشيء الذي فرّت به، أرتني كتبها المدرسية. كانت قد قرأت هذه الكتب مرّاتٍ كثيرةً لدرجة أنها حفظتها غيباً. ولأنها غير قادرةٍ على دخول المدرسة فهي تعمل في الحقول مقابل 4 دولاراتٍ يومياً. عندما أعطيناها هديةً من عدّة كتبٍ بالإنكليزية أجهشت بالبكاء. كانت هذه أثمن هديةٍ استطاعت تخيلها.

من مدارس النزوح – unicef

لقد حان الوقت لنفعل المزيد لأطفالٍ مثل طيف. الوكالات الإغاثية، التي استنفدت طاقتها، ركّزت مواردها المحدودة على تلبية الاحتياجات المادية للاجئين، كالبطانيات والطعام والمأوى. لكن هناك حاجةٌ لفعل المزيد لتلبية أحلام الأطفال السوريين أيضاً. نحتاج إلى استثماراتٍ ضخمةٍ لمساعدتهم على متابعة تعليمهم. وعلينا أن نتذكر أن لدى اللاجئين أكبر رصيدٍ في إعادة بناء بلدهم الذي دمّرته الحرب. إنهم يستطيعون إيقاف دورة العنف، ويستطيعون أن يعيدوا وضع بلدهم على قدميه. وإن زُوِّدوا بما يلزم لفعل ذلك، بإمكانهم أن يصبحوا عامل تغييرٍ ومصالحةٍ وتحوّلٍ اجتماعيّ. ما رأيكم في أن ننظر إلى مخيّمات اللاجئين على أنها أكثر من مجرّد مراكز سكانيةٍ مؤقتةٍ ينتظر الناس فيها انتهاء الحرب؟ ألا يتوجب علينا، عوضاً عن ذلك، أن نعتبرها أماكن ممتازةً يستطيع فيها اللاجئون أن ينتصروا على محنتهم، وأن يُحَسّنوا مجتمعاتهم ويتدرّبوا من أجل عودتهم إلى الوطن؟

*ممثلة رئيس مفوضية اللاجئين في الأمم المتحدة.

دولة العراق... في أرض الشام

ناصر عنتابي

في دراسةٍ أصدرها مركز الجزيرة للدراسات، حملت عنوان "البناء الهيكليّ لتنظيم "الدولة الإسلامية"، يرصد الباحث المتخصّص حسن أبو هنية مراكز القيادة والإدارة في التنظيم منذ نشأته على يد الأردنيّ أبي مصعب الزرقاويّ 2003، وانتهاءً بإعلان الخلافة بقيادة أبي بكر البغداديّ. ويوثق الكاتب بالأسماء انتقال مركز الثقل في التنظيم من أصحاب الجنسيات العربية من "المهاجرين" إلى الاعتماد، بشكلٍ شبه مطلقٍ، على الأسماء العراقية.

أحاط الزرقاويّ نفسه، عند الإعلان عن تشكيل جماعة التوحيد والجهاد، بالمخلصين له، كالمصريّ أبي عبد الله المهاجر، والمسؤول الشرعيّ للتنظيم الأردنيّ أبي أنس الشامي، ومواطنه خبير المتفجرات نضال محمد عربيات، ومصطفى رمضان درويش اللبنانيّ، وغيرهم من قيادات الصف الأوّل الذين قتلوا في العام ذاته. ثم، وبمبايعة التنظيم في تشرين الأول من عام 2004 لأسامة بن لادن، وتغيّر الاسم إلى "قاعدة الجهاد في بلاد الرافدين"، وشغور مراكز القيادة، بدأ الزرقاويّ بتسليم القيادة للعراقيين الموجودين حوله. فأعلن عن أبي عبد الرحمن العراقيّ كأوّل نائب لأمير التنظيم، كما تولى أبو أسيد العراقيّ الجناح العسكريّ، وأبو ميسرة العراقيّ القسم الإعلاميّ. وبعد مقتل الزرقاويّ، أُعلن، في تشرين الثاني 2006، عن تأسيس "دولة العراق الإسلامية" التي تولاها حامد داود الزاوي (أبو عمر البغداديّ). كما أعلن المتحدّث الرسميّ باسم "الدولة" محارب الجبوريّ عن تشكيلة "حكومتها" التي طغى عليها المكوّن العراقيّ، باستثناء وزير الحرب المصريّ أبي حمزة المهاجر. وبمقتل الأخير، بصحبة أبي عمر البغداديّ، في نيسان 2010، آلت القيادة إلى العراقيين بشكلٍ كامل، بعد أن أُعلن في أيار 2010 عن أن "الكلمة اجتمعت على بيعة أبي بكر البغداديّ الحسينيّ القرشيّ أميراً للمؤمنين بدولة العراق الإسلامية، وتولية أبي عبد الله الحسنيّ القرشيّ وزيراً أوّل ونائباً له"، كما تمّ تعيين أبي سليمان وزيراً للحرب. وكلهم عراقيون.

وفي مرحلة "تمدّد" التنظيم إلى خارج العراق للمرّة الأولى، وما يوصف بالعصر الذهبيّ لـ"دولة الإسلامية"، وإعلان الخلافة، وظهور وجوهٍ جديدةٍ من المهاجرين، لم يتغيّر الوضع. إذ أمسك العراقيون بمعظم مراكز القيادة العليا في التنظيم، فاعتُمد على ضباط الجيش العراقيّ السابق في الجانب العسكريّ، من أمثال حجي بكر وعبد الرحمن البيلاوي، اللذين قتلا هذا العام، ليترأس المجلس العسكريّ الحاليّ فاضل الحيالي أو أبو مسلم التركماني المنحدر من منطقة تلعفر العراقية. وتولى الجانب الأمنيّ والاستخباراتيّ ابن المنطقة ذاتها، المكنّى بأبي علي الأنباري. كما يترأس أبو عبد الله العاني الهيئة الشرعية المسؤولة عن خطابات البغداديّ والبيانات وتنظيم المحاكم الشرعية والحسبة، بالإضافة إلى الوعظ والإرشاد في كلّ المناطق التي يسيطر عليها التنظيم. وكذا يتولى أبو الأمير عمر العبسي الهيئة الإعلامية التي تلقى اهتماماً كبيراً داخل التنظيم، والمسؤولة عن المؤسسات الإعلامية المعنية بالإصدارات المصوّرة والمسجّلة، والمطبوعات والمدوّنات والصفحات على شبكة الإنترنت. ويمسك العراقيون أيضاً بمناصب "رفيعة" أخرى، كمسؤول المالية العام مصطفى محمد الكرموش، والمنسّق العام لبريد الولايات محمد حميد الدليمي، ومسؤول المضافات الخاصّة بالمهاجرين العرب، وناقل الاستشهاديين عبد الله أحمد المشهداني أبو القاسم، ومسؤول المخازن والدعم اللوجستيّ فارس رياض النعيمي المعروف بأبي الشيماء، وبعض الولاة المهمّين كوالي الجنوب والفرات الأوسط أحمد محسن خلف الجحيشي، وغيره.

أما الجهاديون من الجنسيات العربية الأخرى فيعتمد التنظيم عليهم في إدارة الوظائف المساندة والتنفيذية الأدنى في غالب الأحيان. وهكذا يوظّف الخليجيون من أمثال أبي بكر القحطانيّ وأبي همام الأثريّ (تركي البنعلي) وعثمان العسيريّ وغيرهم في الأجهزة الشرعية، ويتولّى السوريّ أبو محمد العدنانيّ وظيفة الناطق باسم التنظيم، دون أن يكون لهم دورٌ محوريٌّ في قيادة مفاصل سلطته الأساسية.

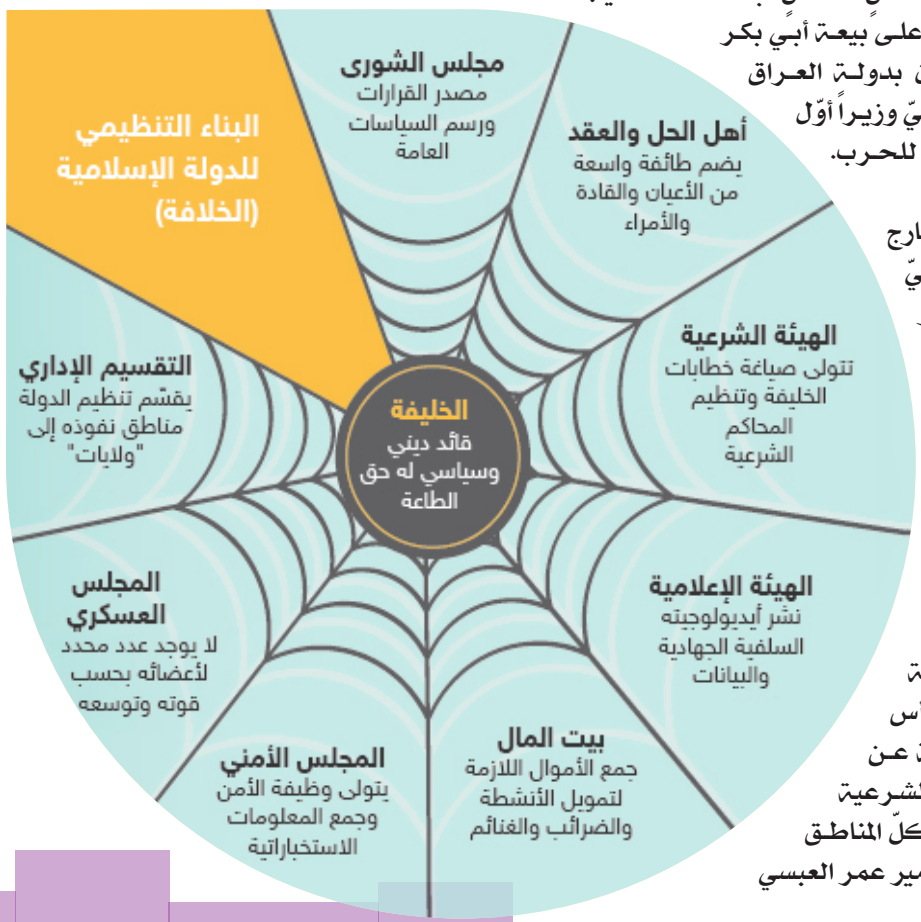

لمحاتٌ أولى عن الجهاديين في تركيا

بكر صدقي

نشر الباحثان التركيان غونش مراد تزجور وصبري جفتجي، في العدد الأخير من مجلة فورين بوليسي الأميركية، مقالةً بعنوان "الراديكاليون الأتراك" قدَّما فيها الملامح الاجتماعية للجهاديين الأتراك الذين ينضمّون إلى صفوف تنظيم الدولة الإسلامية "داعش"، وعلاقة ظهورهم بالديناميات الاجتماعية الجديدة في تركيا في عهد حكم حزب العدالة والتنمية.

ترتسم صورة الجهاديّ التركيّ الاجتماعية، وفقاً للبحث الميدانيّ الذي أجراه تزجور وجفتجي، كما يلي: جميع الأتراك الذين التحقوا بالجهاد ذكور، فيهم محامون وتجارٌ وحرفيون وطلابٌ جامعيون وموظفون في القطاعين العامّ والخاصّ. 31 من بين 112 جهادياً تمكن البحث من الوصول إليهم متزوّجون ولهم أولاد، و37 منهم عزّاب. متوسط السوية التعليمية لهم يفوق المتوسّط العام الوطنيّ، وكثيرٌ منهم يعملون في أعمالٍ مستقرّة. متوسط عمر الجهاديّ التركيّ لحظة التحاقه بالجهاد هو 27 عاماً. ونصفهم من كرد تركيا.

لا تتفق هذه النتائج مع التفسيرات النمطية التي تردُّ انضمام الشبّان إلى المنظمات الإسلامية المسلحة إلى انعدام الأفق لدى شريحةٍ شابةٍ حُرمت التعليم وسبل الارتقاء الاجتماعيّ، عاطلةٍ عن العمل ومحرومةٍ من ثمار التقدّم الحضاريّ ووسائل الاستهلاك. فالسوية التعليمية لمن شملهم البحث من الجهاديين الأتراك مرتفعةٌ نسبياً، وقسمٌ كبيرٌ منهم متزوّجون ولهم عملٌ وحياةٌ عائليةٌ مستقرّين، ومتوسط العمر عند الالتحاق بالجهاد مرتفعٌ، بالمقارنة مع تجارب منظماتٍ مسلحةٍ غير إسلاميةٍ (حزب العمال الكردستانيّ مثلاً). يمكن اعتبارهم عموماً مما يسمى "الطبقة المتوسطة" التي تميل إلى الاستقرار والاستمتاع بالحياة.

أضف إلى ذلك أن الصورة النمطية المألوفة عن الإسلام التركيّ تقول إنه "معتدلٌ" يستند إلى تراثٍ صوفيٍّ قويٍّ وعريق. حتى الإسلام السياسيّ، الذي برز منذ مطلع السبعينات، لم يبتعد كثيراً عن هذا الاعتدال، وتمكن من إيجاد موطئ قدم له تحت مظلة الشرعية السياسية البرلمانية، بخلاف الإسلام السياسيّ في البلدان العربية، الذي لم يخل تاريخه من العنف والتشدد الإيديولوجيّ. فكيف نفسر، إذن، انضمام أعدادٍ متزايدةٍ من الأتراك إلى المنظمات الجهادية في سوريا؟ يذكر أن رئيس الوزراء أحمد داوود أوغلو قال، في أحد تصريحاته، إن عددهم نحو ألف شخص.

إليكم هذه النتائج من واحدةٍ من استطلاعات الرأي الحديثة التي تمت في تركيا:

ارتفعت نسبة التأييد لتنظيم الدولة الإسلامية "داعش"، في المجتمع التركيّ، من 1.3% في شهر أيلول إلى 4% في شهر تشرين الأول، وفقاً لنتائج الاستطلاع الذي قامت به شركة متروبول التركية. من المحتمل أن هذا الارتفاع يشير إلى نوعٍ من "التضامن السنّي" في مواجهة استمرار الغارات الجوية التي تنفذها قوّات التحالف الدوليّ ضد مواقع داعش في العراق وسوريا. وردا على سؤال: "هل تؤيد ممارسات داعش في سوريا والعراق؟" أجاب 3.5 بالمئة، في شهر أيلول الماضي، بالإيجاب، لترتفع هذه النسبة إلى 7.1% بعد شهرٍ واحد. ولنا أن نتوقع ارتفاعاً مطّرداً في نسب التأييد المذكورة أعلاه.

يقوم تفسير الباحثين التركيين، تزجور وجفتجي، على أن عهد حزب العدالة والتنمية، الممتدّ منذ عام 2002، وقد تميّز بارتفاع معدلات النموّ الاقتصاديّ وانفتاح النظام السياسيّ على المجتمع وتغليب السياسة المدنية على الوصاية العسكرية، قد جلب معه نتائج جانبيةً غير متوقعة. فـ"سياسات حكومات العدالة والتنمية التي هدفت إلى استرضاء مؤيّديها من البيئة المتدينة المحافظة، وإلى زيادة التدين في المجتمع، أدّت إلى ارتفاع مستوى الحراك في المنظمات الإسلامية المدنية. وطالما لم تصطدم هذه المنظمات بسلطة حزب العدالة والتنمية، كان بوسعها أن تفعل ما تشاء. وهذا ما سهّل من تعزيز ميلها إلى التشدد الإيديولوجيّ. وكلما ضعفت المؤسسات الديموقراطية، تطورت العصبية الإسلامية خارج أيّ ضبط"، كما يقول الباحثان.

وجاءت سياسة الحكومة المؤيدة للثورة السورية بلا قيدٍ أو شرط، لتقدّم أرضيةً مشجعةً للتيار السلفيّ الجهاديّ ليتمدّد أفقياً داخل البيئات الإسلامية في المجتمع التركيّ. وقد سبق للكاتب والباحث روشن تشكر، صاحب المرجع الكلاسيكيّ حول الحركات الإسلامية في تركيا، أن حذر منذ شهر شباط 2014 من زيادة نفوذ التيار السلفيّ في تركيا في السنوات القليلة الماضية.

سياسة الحدود المفتوحة مع سوريا قدمت، من جانبها، التسهيلات اللوجستية الكافية لحراك الجهاديين عبر الحدود، سواء منهم الأتراك أو الأجانب من جنسيات مختلفة.

فلنتعلم كيف نختلف

يوسف عبد الأحد

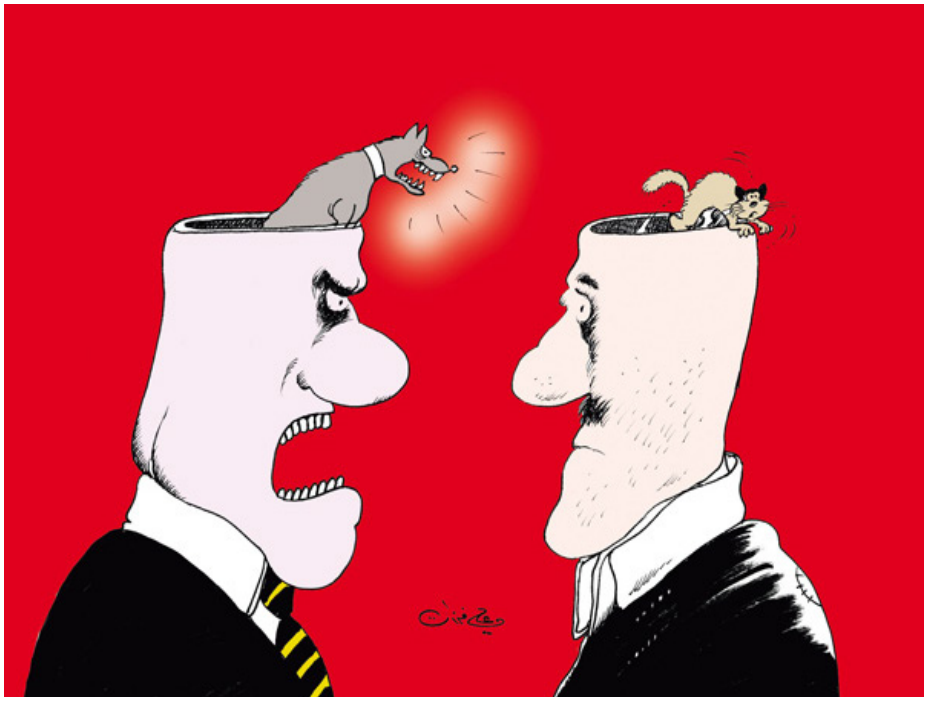

تستوجب الديكتاتورية -تعريفاً- إقصاء مواطنيها عن المساهمة في الحياة العامة، التي يقرّر فيها حاكمٌ أوحد، مع بعض أعوانه ومقرّبيه أو من دونهم، مصائر البلاد والعباد، الذين يُتاح لهم فقط التحكم -نسبياً- بقراراتهم المعاشية والاجتماعية الصغرى. وينتج عن هذا النمط من الاجتماع أفرادٌ معيبون من نواحٍ عديدة، كما نلحظ الآن في غمرة ولادتنا العسيرة من مناخات الاستبداد المسمومة إلى اختلاجات الحرّية المضطربة والقلقة.

ومن أبرز هذه العيوب ما نلمسه من غياب خبرات العمل العام، تخطيطاً وإدارةً وبرامج تنفيذ، وهو ما يبدو جلياً في عمل مؤسسات المعارضة، ولا سيما الائتلاف والحكومة. ومن أبرزها أيضاً انتشار أخلاق المكاسب الشخصية على حساب الخلاص الجماعيّ المطلوب بإلحاح على المستوى الوطنيّ. وهو ما يمكن رصدُه لدى مختلف شرائح السوريين؛ من طوابيرهم الطالبة للجوء وحتى ناشطي الإغاثة الذين يؤثرون مقرّبيهم أو محسوبيهم بأوفر الحصص إن لم يكن بها كلها، مروراً بموظّفي المعارضة والمنظمات الكثيرة المختلفة، وصولاً إلى شبّيحة بشار الأسد على الحواجز، الذين تتواتر الروايات عن تسهيلهم مرور السلاح أو المنشقين هنا وهناك، مقابل مبالغ صار بعضها معروفاً كتسعيرة.

لكن ما نودّ الحديث عنه هنا هو مشكلةٌ أخرى، على أهمية ما سبق ذكره، وهي عدم القدرة على الاختلاف.

وتؤثر الديكتاتورية في هذا الشأن تأثيراً مزدوجاً؛ فمن جهة، تتراجع القدرة على إدارة الاختلاف مع تراجع انخراط المرء في المجال العام وتمرّسه لمدّة طويلة في النقاش حول القضايا المتعددة المشتركة بين أبناء أيّ مجتمع وهي محلّ خلاف بينهم، يكبر أو يصغر، بما يتضمّنه ذلك من القدرة على عرض وجهة النظر وحججها، وتقبّل ذلك من الآخر على وجه المساواة والعدل نظرياً، والاضطرار إلى التفكير في حججه وتفهّمها والوصول إلى حلول معها عملياً، لما يقف وراءها من جماعات ضغط أو مصالح أو أحزاب... إلخ.

ومن جهة أخرى، تطبع الديكتاتورية المجتمع بطابعها. وعبر التسلسل الهرميّ للتحكم والسيطرة والإذلال، التي تنبعث من القائد الفرد باتجاه حلقة محسوبيه الأولى وتتفرّع منهم، عبر مؤسسات الضبط والمراقبة (الأجهزة الأمنية، الحزب الواحد، النقابات التحكمية..) حتى تشمل كلّ أبناء المجتمع؛ تسود متلازمة التصلّب والتفرّد بالرأي، حتى يصبح في نفس كلّ فردٍ ديكتاتورٌ صغير، وفق التعبير الشائع والصحيح.

فإذا حلّت هذه العوامل المؤثرة بقوّة على بنيةٍ عميقةٍ من ثقافة عصور الانحطاط التي سادت المنطقة قروناً، وتراجع فيها العقل والعلم والحضارة والرخاء، واندثرت حلقات السجال ومجالات الحوار بين المختلفين؛ كان لهذا التركيب أثرٌ مضاعفٌ لمرّاتٍ عديدة.

والنتيجة ما نرى؛ يتنازع الفراعنة الصغار على شتى الأمور، وكلٌّ منهم يقول ما سبق أن قاله فرعون موسى، وفق الوصف القرآنيّ: {ما أُريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد}. فهو وحده الذي يعرف الحقيقة كاملةً ويقدّر الواقع تقديراً دقيقاً، وما على الآخرين إلا التسليم والاتباع. منذ أوّل اختيارٍ للطريق الذي كان ينبغي أن تسلكه المظاهرة كي لا تتعرّض لرصاص الأمن، وحتى الجواب على مبادرة دي ميستورا، مروراً بالخطط العسكرية، وتقييم الشخصيات المعارضة والمهامّ التي يجب أن تتولاها، وإدارة العلاقات مع الدول الصديقة وتغيير توجّهات الدول الداعمة للنظام... باختصار، كلّ شيء.

***

إن التخلص من عقلية «أنا وحدي»، وهي الابنة الشرعية لعقلية «أنا (الأسد) أو لا أحد» يستلزم منا المرور بمسارين متلازمين، على مستوى العقل وعلى مستوى الأخلاق. فعلى المستوى الأول نحتاج إلى أن نتوسّع مداركنا، وأن نعلم أن للحقيقة السياسية والإدارية والاجتماعية وجوهاً مختلفة، يمتلك كلٌّ منها نصيبه من الصحّة، ويصدر عن جملة إحداثياتٍ معقّدة تختلف عن تلك التي ننطلق منها ونظنّ أنها المطلقة والوحيدة والنهائية. وعلى مستوى الأخلاق ينبغي أن تتسع صدورنا وتهدأ نفوسنا لتقبّل الخلاف، وأن لا نحمله محمل الإهانة والانتقاص الشخصيين. يحتاج المساران إلى الكثير من التدريب، ولكننا يجب أن ننجزهما بأسرع ما نستطيع، فوقت السوريين من دم.

المجنون الذي ألهب خيال أتباع الأسد

اختراع دولاب طاقة يفتح آفاقاً واسعة للإنارة والاستخدام الصناعي مجاناً

المخترع يعقوب: شركة سويدية تبنته وأتمنى أن نستفيد منه محلياً

هكذا عنونت جريدة "الجماهير" الرسمية، الصادرة في حلب قبل ثلاثة أعوام، تحقيقها. وأعادت صفحات المؤيدين اهتمامها بموضوع "توليد الكهرباء مجاناً"، بالاعتماد على العبقرية السورية المتمثلة بالمخترع موسى يعقوب، صاحب النظرية الفيزيائية الجديدة: الطاقة تولد من العدم، اعتماداً على دولابه المؤلف من جنازير ومسنّنات تستفيد من جاذبية الأرض ليدور ذاتياً مولّداً الكهرباء.

لسنا نعاني، في العالم العربيّ، من هجرة الأدمغة فحسب، وإنما من هجرة الاختراعات. ودولاب يعقوب واحدٌ منها. فقد تبنته السويد، حسب قوله للجريدة. وقريباً ستفتتح الشركة التي اشترت براءة الاختراع فرعاً لها في سوريا، مع أسف المخترع لأنه لم يحدث العكس. ويضيف يعقوب أن دولاً أخرى بدأت بتبنّي الدولاب، مثل الأردن ولبنان التي شغّلت معمل ألبان فوراً بطاقة كهربائية يولدها الدولاب. بينما تعيق البيروقراطية والفساد العقول المبدعة -بالفعل- وتترك الجنون. وتذكّر الصحيفة بأسبقيات لها مع العالم يعقوب في اختراعات كثيرة، أبرزها توليد الكهرباء عن طريق الآبار الارتوازية. لكن ماء هذه الآبار كان العائق غير المحسوب في النهاية.

واليوم، ومع الدولاب الهوائيّ الذي قدّم للشبيحة والمؤيدين لحظة أمل، تتناقل مواقعهم الإعلامية اختراع القرن هذا كانتصار وطنيّ. فكتبت صفحة شبكة "مصياف الأسد" قبل أيام: "محطة توليد كهرباء.. اختراع العالم السوريّ موسى يعقوب.. تعتمد على الجاذبية ولا تحتاج أيّ نوع من مصادر الطاقة.. بانتظار دخولها بالخدمة.. نرجو من القائمين على حفظ الأمن تأمين الحماية اللازمة لحماية هذا العقل الوطنيّ".

العالم يعقوب مع دولاب الطاقة الأبدية المجانية

وانهالت التعليقات التي تؤيد طلب الصفحة بضرورة الحذر الحذر من الفاسدين في وزارة الكهرباء، الذين لن يرضوا أن يرى اختراع يعقوب النور. وانتقدت المطالبات صدود الجهات الرسمية عن هذا الإنجاز الوطنيّ. ولفت الجميع عناية القائد، راعي العلماء، إلى الاهتمام للدولاب الوطنيّ وتبنّيه، ليقلب ليل الشبّيحة المظلم نهاراً. وبعد يومين فقط لمّحت "مصياف الأسد" إلى أن سيادة الرئيس بشار سيستقبل المخترع فكتبت: "المخترع السوريّ موسى يعقوب صاحب مشروع الطاقة البديلة: "ستكون سوريا الرائد الأوّل عالمياً في إنتاج الطاقة مجاناً قبل نهاية الـ2015 بعد اهتمام القيادة الحكيمة بمشروعه العظيم". ولم تنسَ الصفحة أن تقرّع من بقي لديهم قليلٌ من عقل، لأنهم رفضوا ترّهات يعقوب، فقالت: "على الرغم من رفض من يعتبرون أنفسهم دكاترة وعلماء جامعات سوريا للمشروع".

لو صدق تلميح "مصياف الأسد"، والتقى الأسد بيعقوب، وهو سيفعل في أغلب التقديرات، ألا يبدو مشهد الشبّيحة والقائد والمجنون كضرب من ضروب الفصام؟

سيدور دولاب يعقوب ويولّد الكهرباء ويولّد الطاقة من العدم.

مجلة عين المدينة | نصف شهرية سياسية متنوعة مستقلة

- لا تعبر المقالات المنشورة عن رأي المجلة بالضرورة.
- ترحب المجلة بمساهماتكم غير المنشورة سابقاً.

فيس بوك facebook.com/3aynAlmadina
تويتر twiter.com/3aynAlmadina
www.3ayn-almadina.com | info@3ayn-almadina.com

عرسال... وشتاءٌ جديدٌ على السوريّين

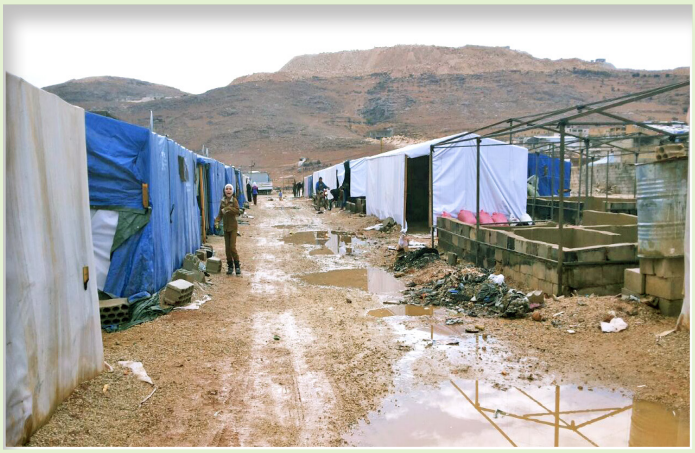

عدسة حسين عمار - خاص عين المدينة